المدن الهامة في تاريخ المسيحية



إعداد

د. ماهر كامل

أستاذ بالكلية الأكليريكية العليا بالقاهرة (سابقا)

مدير عام الدراسات الدولية بجامعة نيوجيرسي

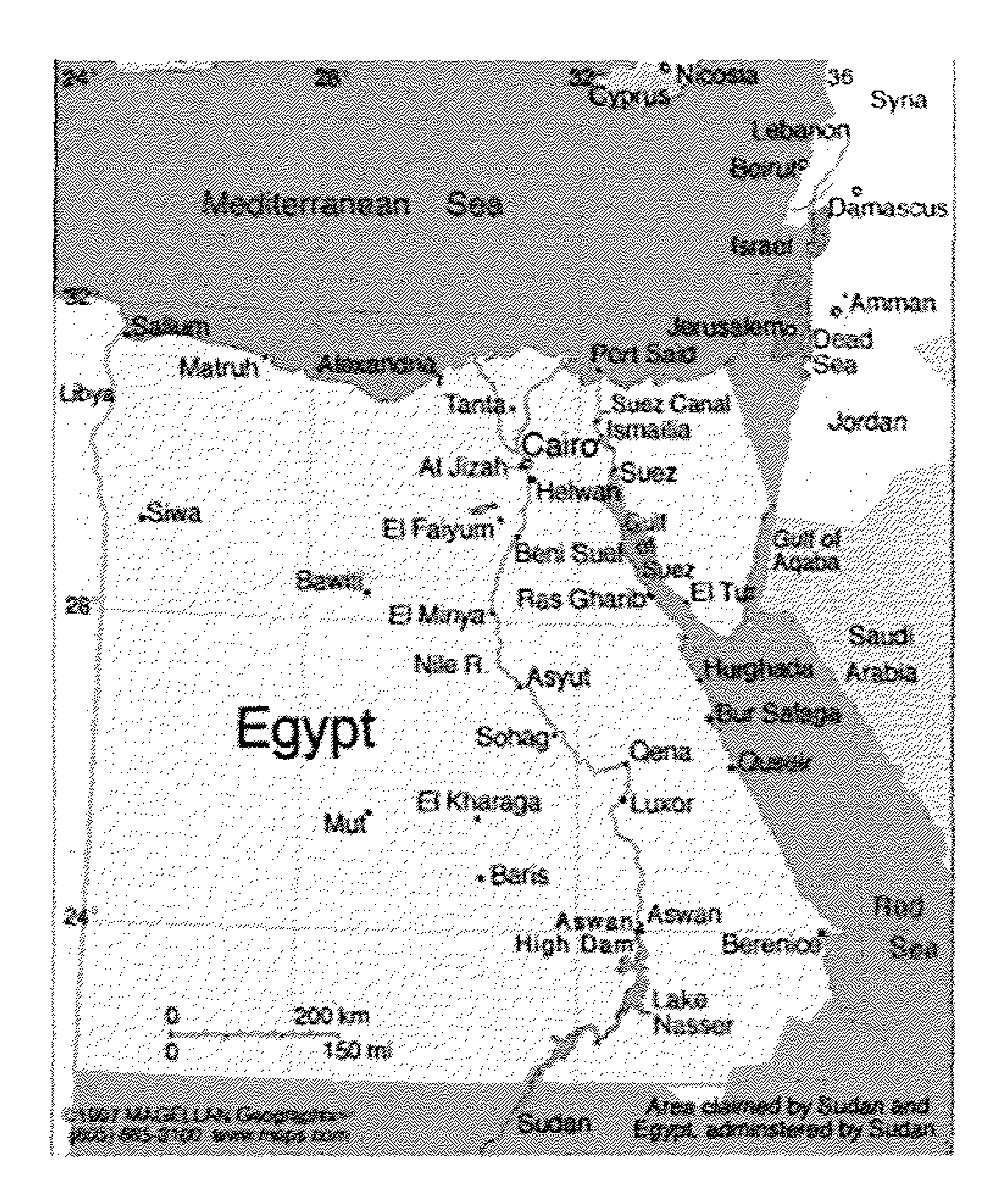
رئيس قسم الفلسفة

بكلية المعلمين بجامعة عين شمس سابقا

أستاذ بجامعات نيوجرسي ونيويورك وبنسلفانيا

وسان بيتر سابقا

المدن الهامة في تاريخ المسيحية



إعداد

د. ماهر كامل

أستاذ بالكلية الأكليريكية العليا بالقاهرة (سابقا)

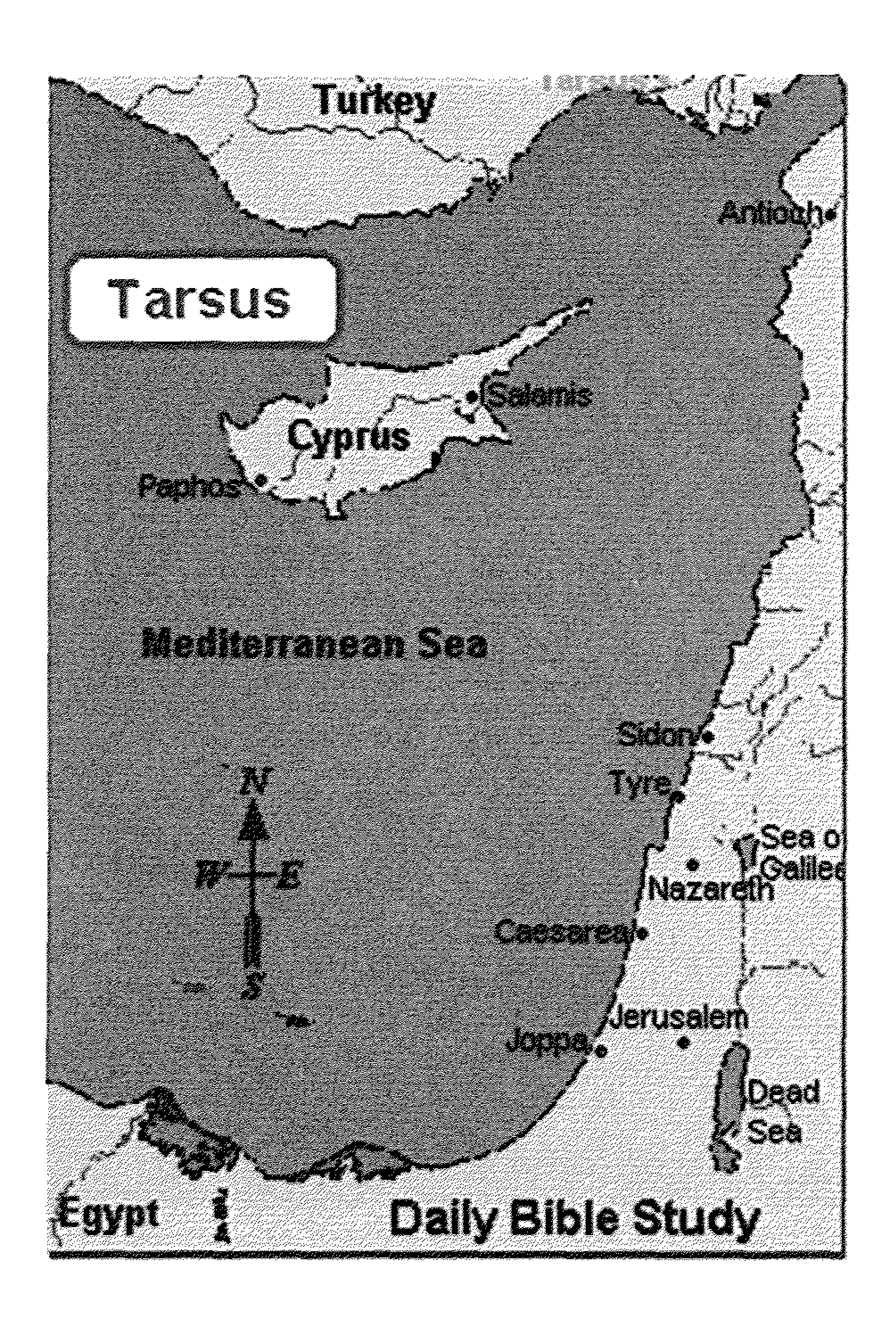
مدير عام الدراسات الدولية بجامعة نيوجيرسي

رئيس قسم الفلسفة

بكلية المعلمين بجامعة عين شمس سابقا

أستاذ بجامعات نيوجرسي ونيويورك وبنسلفانيا

وسان بيتر سابقا


Turkey
Tarsus
Antioch
Salamis
Cyprus
Paphos
Mediterranean Sea
Sidon
Tyre
N
W
E
S
Nazareth
Caesarea
Jerusalem
Joppa
Dead Sea
Egypt
Daily Bible Study



صاحب القداسة والغبطة البابا
شنوده الثالث بابا وبطريرك
الكرازة المرقسية
الرجل الذي صنع التاريخ الجديد للكنيسة
القبطية ووضع لها خريطة جديدة حول العالم



صاحب النيافة الأنبا دافيد
الأسقف العام
شمال وشرق أمريكا

المحتويات

بطاقة شكر

يسعدني أن أشكر الرب أني استطعت أن أعثر على الكثير من المراجع التي تخص النواحي التاريخية والجغرافية والانثروبولوجية التي تتحدث عن شعوب هذه المنطقة في العصور الأولى للمسيحية.

ورأيت أن أقدم نتائج هذه البحوث إلى أبناء الكنيسة لعلها تؤدي لهم خدمة في فهم المسرح الذي وقعت فيه هذه الأحداث التاريخية في العصور المسيحية الأولى. وأود أن أشكر جميع زملائي أساتذة الجامعات الذين عاونوني في تحقيق هذا الهدف.

كما أود أن أشكر الأخ عريان جرجس وحرمة مدام ماري لإعداد الكتاب للطبع على هذه الصورة الجميلة. وأشكر كذلك ابني وصديقي الأستاذ فرج يوسف قلدس صاحب مطابع سفنكس بالقاهرة لقيامه بطبع هذا الكتاب بعنايته المعهودة.

واشكر الدكتورة جانيس فان آلين Janice van Alen التي تطوعت بتوزيع هذا الكتاب على أكثر من مائة كنيسة قبطية في نواحي الولايات المتحدة والخارج.

لهؤلاء جميعا أكرر شكري واعترافي بالجميل.

د. ماهر كامل

المقدمة

لا شك أن الكثيرين يحسون إحساسا واضحا عند قراءتهم للكتاب المقدس بالحاجة إلى معرفة شيء عن تلك المواقع أو المدن التي جاء ذكرها في الأناجيل المقدسة أو الرسائل الرسولية.

وعلى سبيل المثال سألت عددا من أبناء الكنيسة عن بعض المدن الهامة مثل طرسوس موقع ميلاد القديس بولس وحيث تولى البشارة لمدة طويلة وزارها عدة مرت. سألت عن سلوكيا أو المدينة التاريخية سميرنا.. إلى من أرسل رسائله إلى غلاطية أو فيلبي أو كورنثوس وأفسس. وجدت أن البعض لا يعرف شيئا عن موقع المدينة التي عاش فيها السيد المسيح وحمل اسمها مثل الناصرة. لقد حمل اسمها رب المجد وأطلق عليه أنه ناصري.

لهذا رأيت أن أقدم لأحبائي في الكنيسة هذا الكتاب الذي يملأ الثغرات التي كانوا يحبون أن يعرفوا عنها وعن تاريخها.

لم أكتب هذا الكتاب كمجرد قاموس بل على طريقة موسوعة صغيرة تحوي التاريخ والمواقع الجغرافية والانثرويولوجية لطبيعة الشعوب. وقد عرضت هذه المدن بحسب ترتيب الحروف الأبجدية.

الفصل الأول

أثينـــا

تاريخ مدينة أثينا يعتبره المؤرخون أطول تاريخ لأى مدينة في أوروبا لأنه يعود إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة مما جعلها المدينة الأولى في أول الف سنة في التاريخ الحضاري في أوروبا. وكانت الحضارة اليونانية في القرن الخامس قبل الميلاد هي التي أرست الحضارة ودعمتها لبقية المدن اليونانية. إلا أنها منذ القرون الوسطى بدأت تنهار تدريجيا واستمر ذلك التدهور لمدينة أثينا طوال مدة سيطرة الدولة العثمانية عليها ولم يعد علمها يرتفع عاليا إلا في القرن التاسع عشر بعد أن حصلت على استقلالها بمعاونة قائد مصر محمد علي باشا الذي أرسل أسطوله وعاونها ضد تركيا حتى حصلت على استقلالها سنة ١٨٢٧. ولكن بعد ذلك انهزمت قوات محمد علي أمام قوات الحلفاء الأوربيين الذين تضافروا في الحرب ضده ومن بينهم انجلترا وفرنسا والنمسا.

ولنعود الآن إلى تاريخ العصور القديمة. كانت تلال الأكروبوليس يقطنها بعض السكان منذ العصر الحجرى الحديث وفي سنة ١٤٠٠ قبل الميلاد أصبحت اثينا قوة مركزية في وسط الحضارة الميثانية. استطاعت أثينا أن تحافظ على كيانها في مواجهة الغزوات الدورية Doric وكانت تفاخر أنها الدولة الوحيدة التي حافظت على تكوينها الانثرويولوجي وبأنها أيقونة حرة دون أي امتزاج مع عناصر انثرويولوجية أخرى.

وفي القرن الثامن قبل الميلاد استطاعت أثينا أن تصبح عضوا فعالا بين الولايات اليونانية وأن لها امتيازات بحرية غير موجودة عند بقية الولايات مثل اسبرطه وطيبة. وتدريجيا بدأت هذه الولايات في تكون اتحاد بينها جميعا وسرعان ما أحست أثينا أن لها مركز الزعامة بينها. وقد اتفقت هذه الولايات جميعا على حقوق كل ولاية وواجباتها وامتيازاتها الخاصة. اتفقوا على أن يكون لكل ولاية منهم حقوقه الدينية الخاصة وخقوقه في أماكن خاصة للدفن. وضرورة المحافظة كذلك على حقوقها في التوارث. وأنها إذا طلبت المعونة فعلى جميع الولايات الأخرى أن تساهم فيها مباشرة. أتفقوا كذلك على حق التزاوج المشترك بينهم وحق الاشتراك في الممتلكات المشتركة وعلى محدودية سلطة الرجل على المرأة وحق كل مواطن فيهم أن يتبنى أى طفل من الولايات الغربية وحق كل ولاية في آن تنتخب رؤساءها في الحكم.

وفي القرن السابع نجحت أثينا في أن تجلب تحت سلطتها كل الولايات اليونانية الأخرى ولكن مع بعض المعارضات أتفقوا على وضع دستور عام يحكم كل العلاقات السياسية. اختارت الولايات «سولون» ليضعوا هذا الدستور الذي يعتبر الأول من نوعه في العالم. حدد ذلك الدستور بالضبط جميع المسائل المتعلقة بالشئون السياسية والاقتصادية والاجتماعية. يعتبر هذا الدستور الأساس للحياة الأثينية الديموقراطية. وبعد وفاة سولون تولى الحكم بعده ابن عمه Peisistvatus الذي سرعان ما تحول إلى دكتاتور على كل الولايات اليونانية.. ومن بعده أصبح كذلك أحد أبنائه هيبياس Hippias ديكتاتورا أخر. وبعد ذلك حدث انقلاب في الحكم قامت به قوات الجيش من ولاية اسبرطة سنة ٥١٠م. وقام بالحكم كليسثونيس Cleisthenes الذي كان المؤسس الحقيقي للنظام

الديموقراطي في أثينا وأثبت أن الديموقراطية هي أفضل نظام للحكم. ومع ذلك لعب الحكم العسكرى سريعا لعدة فترات طويلة في تاريخ أثينا أرى أنه لا داعى لذكر تفصيلات هذه الفترات العسكرية أو الانقلابات العسكرية. المهم أن أثينا عادت بعد كل ذلك إلى نظام ديموقراطي رصين حتى جاءت الدولة العثمانية وحكمت اليونان منذ عام ١٤٥٨ ميلادية وحكمها السلطان محمد الثاني عندما جاء السلطان محمد وتجول في شوارع اثينا استولت عليه الدهشة لجمال شوارع المدينة ومبانيها الرائعة. أحال مبني البارثينون إلى جامع إسلامي كما عمل على تغيير الطابع العام للمدينة إلى طابع إسلامي ونزع كل آثار تاريخية لمعابد الآلهة الوثنية وفجر بعض المباني التاريخية الأخرى. وفي السنة الثانية اشعلت القوات العثمانية حريقا في كل مدينة أثينا وبهذا فقدت المدينة الكثير من مبانيها الاثرية. استمر احتلال الأكروبوليس حوالي ستة شهور في هذه الفترة كان بعض المهاجرين والاتراك يسرقون من المباني بعض الأجزاء الهامة.

وفي سنة ١٨٣٢ أعلن تنصيب الأمير أوتو Otto من بافاريا ملكا على اليونان وبهذا غير اسمه إلى الملك أوتون ولبس ملابس يونانية وأرجع العاصمة إلى أثينا وكون لجان دولية لإصلاح جميع المباني والآثار التاريخية وأصلح بناء البرلمان اليوناني والحدائق العامة وجامعة أثينا وأخذت أثينا تدريجيا مظهرا أوروبيا حديثا وجود القصر الملكي والأكاديمية العليا والمكتبة العامة الخ.

كانت من نتائج كل هذه الاصلاحات ووسائل التجميل أن جاء إلى اليونان جملة من المهاجرين على الأخص من أصل يوناني. جاء بعضهم من سميرنا ومن آسيا الصغرى ومن مصر والبلاد المجاورة. ولكن لما أعلنت الحرب العالمية الأولى وكانت تركيا حليفة

لألمانيا سارعت الدولة الألمانية باحتلال اليونان. انسحبت اليونان بعد هزيمة ساحقة من قوات الحلفاء وعاد إلى اليونان استقلالها. وصاحب هذا الاستقلال عدة مشاكل مدنية من بينها إزدياد وسائل المواصلات بدرجة غير منتظرة ولم تتوقعها اليونان إطلاقا وهكذا كان عليها أن تواجه بناء أعداد كبيرة من الطرق خصوصا أنه في ١٩٩٦ كانت المباريات الأولمبية منعقدة في اليونان.

ومما ساعد على حل مشاكلها أن اليونان أصبحت عضوا في الاتحاد الدولى الأوروبي والناتو وهيئة الأمم المتحدة.

يرى المؤلف أنه – إذ نحن نتحدث عن أثينا والمدن اليونانية الأخرى – من واجبنا أن نلم بمعرفة الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية التي لعبت دورا هاما في تاريخ حضارتها. هذه الكنيسة هي إحدى الكنائس التي تكون أتحاد الكنائس الأرثوذكسية الشرقية وعدد أعضائها أربعة عشر. الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية تشمل في دائرة اختصاصها كل اليونان ما عدا الأجزاء التابعة لبطريركية القسطنطينية مثل جزيرة كريت وجزر الدوديكانيز Dodecanese. ولكن مع ذلك يعتبر أساقفة هذه المناطق أعضاء في المجمع الأكليريكي الأعلى للكنيسة اليونانية من حيث الخدمات الروحية يرأس الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية صاحب القداسة والغبطة البطريرك ليابيس الثاني (ايرانيوس الثاني) (في سنة ٢٠٠٨).

والكنيسة اليونانية الأرثوذكسية لها نظام خاص يختلف عن بقية الكنائس الشرقية والغربية ولكن يشبه إلى حد كبير نظام الكنيسة الروسية الأرثوذكسية الذى وضعه بطرس الكبير.

السلطة العليا في الكنيسة في يد المجمع الاكليريكي للأساقفة تحت رئاسة رئيس أساقفة أثينا وجميع اليونان. ويوجد مجلس اكليريكي ثان يليه في السلطة ويتولى عضويته أساقفة بالانتخاب

ويتولى كل منهم مركزه لمدة سنة واحدة وهذا المجلس مكون من أثنا عشر أسقفا فقط.

المجلس الأكليريكي الأول يختص بجميع الشئون الروحية في حين أن المجلس الانتخابي يختص بالشئون الإدارية والمالية. يوجد بالبطريركية اليونانية ٨١ أسقفية. معظم كهنة الكنيسة ليس لديهم دراسة جامعية ولكنهم يدرسون في معهد الكهنوت سنتان فقط بعد الدراسة الثانوية. وهناك قائمة تضع هؤلاء الكهنة بالترتيب من حيث مكانتهم وامتيازاتهم.

يعود تاريخ الكنيسة اليونانية إلى عهد القديس بولس الرسول الذي كان أول من قام بتعليم المسيحية. قام القديس بولس كما رأينا (في كتاب القديس بولس رسول السيد المسيح) بزيارة أثينا وفيلبي وتسالونيكي وكورنثيا وكريت. بعد زياراته انتشرت المسيحية في اليونان والمدن المجاورة. ومنذ ذلك العهد كان لليونان أسقفية موجودة في كورنثيا التي كانت تعتبر لها أهمية خاصة. وفي سنة ٤٣١ ميلادية أعترف مجمع أفسس باستقلال كنيسة قبرص عن كنيسة اليونان. وأكد هذا القرار امبراطور بيزنطة سنة ٤٨٨ ميلادية. ظلت الكنيسة اليونانية معترفا بها كجزء مستقل في الامبراطورية البيزنطية ولكن باشراف من بطريركية الأسقفية ونالت استقلالا تاما بعد أن نالت اليونان استقلالها عن تركيا سنة ١٨٢٧. وفي عام ١٨٦٤ انضمت الكنائس المقدونية في الجزائر إلى أشراف البطريركية اليونانية والمجلسين الاكليريكين للكنيسة. وفي سنة ١٩٠٨ أعترفت الحكومة الأمريكية بأن الكنائس اليونانية فيها تكون تحت سلكة البطريركية اليونانية وتعتبر جزءا منها وأصبح أساقفة هذه الكنائس الأمريكية جزءا متكاملا مع المجلسين الأكليريكين بنفس الحقوق والواجبات المفروضة على الأساقفة

اليونان تحت أشراف رئيس أساقفة الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية. تؤمن مبدأ «الكنيسة الجامعة الرسولية». وتؤمن أن رأس هذه الكنيسة هو السيد المسيح له المجد نفسه وأن أعضاءها هم الذين نالوا العماد بالماء والروح القدس. ويحاولون أن يعيشوا في الرب وبحسب مشيئته. وتؤمن الكنيسة أيضا أنها جسد الرب وأنها تلقت شرعيتها عن طريق وضع اليد من أيام الرسل المقدسين وأن لها نفس الإيمان ونفس الروح الإلهية التي تلقتها من السيد المسيح وتلاميذه. فالكنيسة جسد مقدس. وتؤمن أن الكنيسة مكونة من جزئين. الجزء الأول هو المنظور الذى يكافح على الأرض في هذه الحياة المادية وأما الجزء الثاني المكون للكنيسة هو الجزء الروحي في السماء في أورشليم السمائية.. إنهم جماهير الملائكة في السماء كما جاء في رسالة القديس بولس إلى العبرانيين (الاصحاح ١٢ آية ٢٢/٢٣) «وقد أتيتم إلى جبل صهيون وإلى مدينة الله الحي أورشليم السماوية وإلى ربوات هم محفل ملائكه وكنيسة أبكار العهد الجديد يسوع». تؤمن الكنيسة اليونانية أن الكنيسة واحدة لأن الله واحد. أن هناك جسدا واحدا وروحا واحدا وإيمان ورجاء واحد وسيد واحد وأب واحد للجميع». وكما جاء في رسالة القديس بولس في رسالته إلى أهل أفسس (الاصحاح ٤ آية ٤) «مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام. جسد واحد وروح واحد كما دعيتم أيضا في رجاء دعوتكم الواحد. رب واحد إيمان واحد معمودية واخدة وآب واحد للكل الذي على الكل وبالكل وفي كلكم».

إن الكنيسة مقدسة لأن الله جعلها كذلك ولأن الروح القدس بنعمته جعلها كذلك. لقد أحب السيد يسوع المسيح كنيسته ولهذا أعطى نفسه ضحية من أجلها ولهذا خلق كنيسته دون أي نقطة

سوداء فيها. ولهذا ينبغي على أعضاء الكنيسة جميعا كهنة وشعبا آن يحافظوا على قداستها. لقد أراد الرب أن يجعلنا مقدسين فيه بحسب مشيئته. والكنيسة الأرثوذكسية جامعة ويقصد بذلك أنها «كل واحد» ولا يمكن أن يخصم منها أي جزء لأن الكنيسة هي الايمان الكامل في المسيح. الكنيسة الأرثوذكسية المسيحية رأسها هو السيد المسيح وهي معبد الروح القدس وهذا لا يخطئ ولهذا فإن صوت الكنيسة هو صوت الله. ولهذا تؤمن الكنيسة أن الايمان بالله لا ينقسم لأن الروح القدس حال في داخل قلب كل فرد من أعضائها.

والكنيسة الأرثوذكسية كنيسة رسولية لأنها تقوم على تعاليم الرسل المقدسين ويمكن أن نتابع وجودها إلى الرسل أنفسهم ولهذا فهي ترجع إلى رب المجد يسوع المسيح نفسه. إنها هي الايمان الحقيقي. «إننا نسمع صوت الله ونراه عندما نتناول من سر الافخارستيا ونأكل من جسده المقدس ودمه الكريم. خذوا كلوا هذا هو جسدى . وقال أيضا هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين يعطى لمغفرة الخطايا». وإذن فنحن عندما نتناول من الجسد المقدس ونشرب من الدم الكريم يصبح السيد المسيح فينا ونحن فيه. وإذن لم نعد متحدين بالله منذ العماد فقط بل أيضا بسبب الوحدة بالجسد والدم.

هذه هي المبادئ الرئيسية للكنيسة الأرثوذكسية المقدسة.

الفصل الثاني

مدينة أفسس

عندما ذهب القديس بولس إلى مدينة آفسس لأول مرة لابد وأنه نزل في الميناء القديم ثم أتجه سيرا على الأقدام في أتجاه الشرق حوالي ميل نحو المدينة القديمة ومنه إلى الشارع مواجها للمسرح الموجود في المدينة القديمة ومنه إلى شارع أرطميس الذي يوجد فيه معبد أرطميس. في العهد القديم كان هذا المعبد يعتبر أحد المعجزات السبعة في العالم وكان معروفا باسم معبد آفسس لأرطميس. وتدل بقايا هذا المعبد المتهدمة، على آنه كان على الآقل في حجم البارثينون.

كانت مدينة آفسس في تاريخها تعود إلى آكثر من آلف سنة عندما وصل القديس بولس في صيف سنة ٥٢ ميلادية. أسس هذه المدينة أهل أثينا كولاية تابعة لها في القرن العاشر قبل الميلاد. ولفترة معينة كانت المدينة تحت حكم الملك كروسس Croesus ملك ليديا إلى أن وقعت تحت حكم سيرس Cyres ملك فارس. حكمت فارس المدينة حوالي مائتى سنة إلى آن أستولى عليها الإسكندر الآكبر سنة ٣٣٤ ق.م. ومنذ هذه اللحظة آصبحت مدينة يونانية إلى آن استولى عليها الرومان. أصبحت المدينة في هذه الفترة ذات ثقافات متعددة فهي رومانية تتحدث اللاتينية، وهي يونانية يتحدث اليونانية وهي جزئيا آسيوية فارسية كما كانت متأثرة بثقافة البنطس وعلى الآخص في عهد ملكها

ميثريدالس Mithridales الرابع. عندما ثار ملك البنطس على الدولة الرومانية وحدث في عهده أنه في يوم واحد ذبح أكثر من ثمانين ألف روماني من سكان آسيا. ودفعت أفسس ثمنا غاليا في هذه الصفقة إلى جانب الولايات اليونانية الأخرى. حاولت روما الانتقام بسبب هذه المذبحة. رحبت المدينة بزيارة كليوباترة وانطونيوس في شتاء عام ٣١/٣٢ ق. م قبل الهزيمة التي تلقاها انطونيوس في موقعة أكتيوم بجوار الاسكندرية سنة ٣١ قبل الميلاد.

وفي أوائل القرن الثاني في عهد الامبراطور أوغسطس كانت المدينة تمر بمرحلة إزدهار حتى أطلق عليها لقب «أول وأعظم مدينة في آسيا» في هذه الفترة أنشئت فيها عدة مباني عظيمة ومنها حمامات سباحة وشوارع مرصوفة متسعة . وكانت المدينة تعتبر أكبر مركز تجاري وثالث أكبر مدينة في الامبراطورية الرومانية بعد روما والإسكندرية فقط ويقطن فيها في ذلك الوقت ما يزيد عن مائتي الف ساكن. كان يمر بها الطريق الملكي الذي بناه الفرس واحتوت الميناء الكبير للمراكب التي تقل الركاب إلى فارس وعاصمتها سوسه Sosa وأصبحت أفسس أول نقطة لقياس جميع المسافات في العالم وكأنها مركز العالم. وعلى مدى تعاقب عدة أباطرة كان معبد أرطميس موضع الجاذبية الوثنية.

عقد المجمع الاكليريكي الثالث في أفسس سنة ٤٣١ ميلادية وهنا تحول الفيلسوف جيستن مارتر Justin Martyr إلى المسيحية وأعتمد باسم الرب يسوع.

ولو رجعنا إلى أعمال الرسل (الاصحاح ١٨ آية ١٩) ودعهم القديس بولس قائلا «ينبغي على كل حال أن أعمل العيد القادم في أورشليم. ولكن سأرجع إليكم أيضا إن شاء الله» ثم سافر إلى أنطاكية وسورية ليزور الكنائس هناك. كان لا بد أن يزور

الكنائس التي أسسها في غلاطية وفريجية في طريقه (١ع اصحاح ١٨ آية ٢٣) «خرج واجتاز بالتتابع في كورة غلاطية وفريجية يشدد جميع التلاميذ».

وعندما عاد القديس بولس إلى أفسس استقر هناك لمدة تزيد عن سنتين محاجا كل يوم حتى سمعت كلمة الرب يسوع من جميع الساكنين في آسيا من اليهود واليونانيين. جاء في أعمال الرسل (اصحاج ١٩ آية ١١) «وكان الله يصنع على يدي بولس قوات غير المعتادة حتى كان يؤتي عن جسده بمناديل أو مآزر إلى المرضى فتزول عنهم الأمراض وتخرج الأرواح الشريرة منهم».

وفي خلال وجود القديس بولس التي وصلت إلى حوالي ثلاث سنوات حدثت حادثتان ينبغي أن نشير إليهما

الحالة الأولى جاء ذكرها في أعمال الرسل (اصحاح ١٩ آية ١٣ «فشرع قوم من اليهود الطوافين المعزمين أن يسموا على الذين بهم ارواح شريرة باسم الرب يسوع قائلين نقسم عليكم باسم يسوع الذي يكرز به بولس وكان سبعة بنين ليسكاوا رجل يهودي رئيس كهنة ومن الذين فعلوا هذا. فأجاب الروج الشريرة وقال أما يسوع فأنا أعرفه وبولس أنا أعلمه وأما أنت فمن أنتم. فوثب عليهم الإنسان الذي كان فيه الروح الشرير وغلبهم وقوى عليهم حتى هربوا من ذلك البيت عراة ومجرحين. وكان كثيرون من الذين يستعملون السحر يجمعون الكتب ويحرقونها أمام الجميع».

والحالة الثانية كانت خاصة بتلك الثورة التي قام بها صناع التماثيل الفضية لأرطاميس. عرفوا جيدا أن القديس بولس ينادي بأن التماثيل التي تصنع بالأيادى ليست آلهة. ومن الطبيعي أنهم عرفوا أن مثل هذه الدعوة سوف تقضي على إيرادهم ليس فقط

من زوار مدينة أفسس بل من آسيا كلها. لهذا قاموا بالثورة وخطفوا رفقاء القديس ارسترخس وغايوس المقدونيين وحاولوا أن يأسروا القديس بولس ولما عرفوا أنه يهودى أخذوا يصيحون عظيمة هي أرطميس. ولما قدموه للمحاكمة وجد الوالى أن المسألة خاصة بالناحية الدينية وليست مسألة تستدعى تدخل القضاء ولهذا اطلق سراحه.

يعتقد بعض المؤرخين أن القديس بولس كتب بعض رسائله من افسس. ويحددون الرسائل التالية .. الرسالة إلى أهل غلاطية ورسالة القديس بولس الأولي إلى أهل كورنثيا. والرسالة إلى أهل فليمون والرسالة إلى أهل فيلبي. ويعتقدون أن الرسالتين الأخيرتين كتبهما عندما كان في السجن في أفسس في أنتظار المحاكمة. وأما الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس فيبدوا أنه كتبها بعد أن ترك أفسس.

ويذكر بعض مؤرخي العهد الجديد الكاثوليك أن التلميذ الطاهر يوحنا أحضر السيدة العذراء مريم إلى أفسس وأنها عاشت في أفسس السنوات الأخيرة في حياتها وأنه كتب الإنجيل الرابع في أفسس. ويعتقد المؤرخون أن القديس يوحنا كتب أيضا سفر الرؤيا في أفسس.

هذا يفسر أنه يوجد في أفسس منزل باسم «بيت العذراء مريم» ولكن ليس هناك أي دليل مادي صحيح على هذين الدعمين. في الواقع ترفض الكنيسة القبطية هذين الرأيين وتؤكد أن السيدة العذراء لم تذهب إلى اليونان وظلت في أورشليم حيث ماتت وصعدت عند الآب محوطة بجميع التلاميذ وحضور السيد المسيح له المجد إلى جانبها. ليتبارك اسم القديسة الطاهرة مريم وأسم القديس يوحنا إلى الأبد.

الفصل الثالث

الاسكندرية

الإسكندرية هي ثاني أكبر مدينة في الجمهورية المصرية وأكبر ميناء تستورد وتصدر حوالي ٨٠٪ من الواردات والصادرات المصرية كما أن لهذه المدينة أهمية سياحية كبيرة. المدينة ممتدة حوالى ٣٢ كيلو متر على شاطئ البحر الأبيض المتوسط في شمال مصر. إنها موطن المكتبة الكبيرة التي حلت محل المكتبة التاريخية القديمة. تصل إلى هذه المدينة أنابيب البترول والزيوت المختلفة من السويس ولهذا أصبحت مركزا صناعيا هاما كما أنها كانت دائما تعتبر مركزا تجاريا مرتبطا ارتباطا مباشر بأوروبا وآسيا. صلتها بالسويس يجعلها وسيلة المواصلات في كل من البحر الأبيض والبحر الأحمر ومنذ عهود قديمة كانت الإسكندرية دائما لها شهرتها العالمية. أسست المدينة حوالى ٣٣١ قبل الميلاد بواسطة ملك مقدونية الإسكندر الأكبر وظلت العاصمة الفعلية لمصر حوالى ألف سنة إلى آن أنشئت مدينة الفسطاط التي أصبحت فيما بعد مدينة القاهرة.

كانت الإسكندرية التاريخية تملك الفنار ليضيئ السبيل لمراكب البحر الأبيض ذلك الفنار كان يعتبر أحدى المعجزات السبعة القديمة في العالم. كما كانت تملك أكبر مكتبة في العالم وكانت أيضا تحوى المقابر التي لا تزال قائمة في كوم الشقافة، وهذه أيضا كانت تعتبر أحدى المعجزات السبعة في العصور الوسطى.

وتدل البحوث الأركيولوجية البحرية التى بدأت عام ١٩٩٤ أنه قبل مجئ الإسكندر الاكبر كان هناك مدينة قديمة اسمها راكوتيس Rhakotis موجودة حتى في عصر أسرة البطالسة. وأما مدينة الإسكندرية ذاتها فقد أسست عام ٣٣٢ قبل الميلاد وكان اسم مهندس الإسكندر الأكبر الذى أنشأها دينوكراتيس Dinocrates وكان المقصـــود من تأسيسـها أن تكـون وسيلة المواصلات بين اليونان ووادي النيل الغني بمنتجاته. كانت المدينة القديمة راكويتس قائمة ولكن كمركز للقرصان وصيادي السمك. وبعد شهور ضئيلة من تأسيسها غادرها الإسكندر لمواصلة غزواته في الشرق وترك نائبا عنه كليومينس Cleomenes الذي واصل الاتساعات في مشروعاته. إلا أنه بعد الإسكندر نجح بطليموس في آن يتولى السلطة. نجح بطليموس الأول في أن يحصل على امتيازات تجارية كثيرة خصوصا بعد إنهيار مدينة صور التجارية. بهذا ورثت الإسكندرية كل التجارة بين الدول العربية وآسيا وأوروبا. وقد اكتشف اليهود طريقهم إلى هذه المدينة - الإسكندرية - وأصبحت الإسكندرية مركزا لأكبر جالية يهودية وأكبر جالية يونانية في نفس الوقت. هنا في الإسكندرية حصلت الترجمة الدقيقة الأولى للعهد القديم ولهذا حاولوا المحافظة على مكتبتهم وطوروا متحف الإسكندرية الذى سيطرت عليه الثقافة اليونانية. هكذا أصبح شعب الإسكندرية مكونا من ثلاثة شعوب متنافسة: اليوناني واليهودي والمصري. كثيرا ما حدثت صدامات بين هذه الجبهات الثلاث وكان من أوضحها ما حدث في عهد بطليموس فليوباتر الذي حكم من عام ٢٢١ إلى عام ٢٠٤ قبل الميلاد. وإزدادت الخلافات وضوحا في عهد بطليموس الثامن (فيسكون) من سنة ١٤٤ إلى ١١٦ قبل الميلاد. هذه الفترة كانت تتميز بحروب مستمرة

ظلت الإسكندرية تحت الحكم الروماني حوالي مائة عام وحوالي سنة ٨٠ قبل الميلاد تحطمت الإسكندرية بسبب الحروب بين اليهود واليونان. وعندما وصل هارديان إلى السلطة استطاع أن يعيد بناء الإسكندرية. جاء الامبراطور كراكالله Caracalla لزيارة مدينة الإسكندرية ولكن قابله السكان بإهانات بالغة وعندئذ أمر بقتل جميع الشباب القادر على حمل السلاح في المدينة وهكذا تحطمت الإسكندرية من جديد. ومما زاد الطين بلة أنه حدثت زلازل مركزها كريت ولكن شدة الزلازل أن حدثت ارتفاعات كبيرة في مستوى البحر وأحدثت فيضانات شديدة أغرقت المدينة بأسرها وظلت الإسكندرية تذكر ذلك اليوم على أنه اليوم الأسود في تأريخها.

ولا يفوتنا أن نذكر أنه في أثناء القرن الأول الميلادي جاء إلى مصر القديس مرقس الذي بدأ ينشر المسيحية في مصر وعمل معجزات كثيرة حتى قيل عنه إنه ساحر. وإحتذب الكثيرين جدا من أتباع ديانة السرابيون فهاجموه وسحلوه يومان متواصلان حتى قطعت رأسه من جسده وكادوا يحرقون جسده لولا أن عاصفة سريعة حدثت فتركوه في الشوارع وعندنذ حضر المسيحيون ودفنوه في كنيسة المسيح في بولكلي بالإسكندرية. وقد ذكرنا الكثير من حياة القديس مرقس في عدة مؤلفات أخرى من بينها كتاب «الكنيسة الخالدة».

وفي القرن الرابع الميلادي كانت الاضطهادات الدينية على أشدها ضد أتباع الدين الجديد «المسيحية» مما جعل المدينة كلها تعيش في مخاوف مزعجة.

وفي سنة ٣٩١ ميلادية آمر الامبراطور ثيودوسيوس الأول بهدم جميع المعابد الوثنية وكان ذلك في عهد البابا البطريرك

ثيوفيلوس. عندئذ بدأ اليهود في حركة هجرة من الإسكندرية وبدأت الأحياء اليهودية تخلو من سكانها في القرن الخامس. إلا أن عبادة سيرابيون الفرعونية استمرت في عدوانها وأطلقت على نفسها العبادة القيصرية Caesarea

وفي سنة ٦١٦ استولت على الإسكندرية القوات الفارسية بقيادة الملك الفارسي خسرو الثاني. وبالرغم من أن الامبراطور هرقل Heraclius عـاد الاستيلاء على المدينة لعدة سنوات فإن القائد العربي عمرو بن العاص في حملة إسلامية استولى على مصر ثم حاصر الإسكندرية حوالى أربعة عشر شهرا وفي نهايتها استولى عليها أيضا.

استمرت الإسكندرية - كبقية البلاد المصرية - تحت الحكم الإسلامي حتى مجئ نابليون إلى مصر واستولى عليها في يولية ١٧٩٨ ولكن الحكم الفرنسي لم يدم أكثر من ثلاث سنوات حتى استطاعت القوات البريطانية الاستيلاء على مصر سنة ١٨٠١ ميلادية. كانت أكبر المواقع الحربية بين الإنجليز والفرنسيين في مدينة الإسكندرية حيث حطم الإنجليز الاسطول الفرنسي أولا في «أبو قير» . وبعد ذلك استولوا على المدينة بعد أن ألقوا اعداد كبيرة من القنابل والمتفجرات وبعد أن نجح الانجليز من إجلاء الفرنسيين من مصر أعادوا تسليم المدينة إلى الحكم التركي. عينت تركيا حاكما على مصر اسمه محمد علي- مؤسس الأسرة العلوية- الذي استطاع بعد فترة وجيزة أن يعلن استقلاله عن تركيا وأرسل جيوشا لمحاربتها في الشام ثم في اليونان وعندئذ خشيت الدول الأوروبية سطوة هذا الحاكم فكونت قوات شملت وحدات كبيرة من انجلترا وفرنسا والنمسا وإيطاليا وانتصرت على محمد على وحطمت اسطوله وقطعت خط المواصلات عن

الجيش الذي كان بقيادة أبنه إبراهيم على حدود تركيا الجنوبية وسارت بنجاح حتى أصبحت تهدد القسطنطينية ذاتها. وعندئذ عقدت معاهدة لمنح محمد على السلطة المستقلة في حكم مصر وانسحبت قواته من جميع الجبهات وتحطم اسطوله في اليونان. وفي فترة السلام التالية أعاد محمد على سنة ١٨١٠ بناء مدينة الإسكندرية تدريجيا حتى عادت إلى عظمتها في عام ١٩٥٠. استمرت الإسكندرية تحت الحكم المصري منذ ذلك الوقت. ومما يذكر أنه في ميدان المنشية حدث الاعتداء على حياة جمال ولكنه لم يؤدي إلى إنهاء حياته.

وإذا تحدثنا عن الناحية الدينية لمدينة الإسكندرية أود أن أبدأ بذكر الكنائس القبطية وغير القبطية في المدينة وهي كما يلي:

١- كنيسة الإسكندرية نيفسكي (روسية أرثوذكسية)

٢- كنيسة القديس أنارجيري (يونانية أرثوذكسية)

٣- كنيسة القيامة (يونانية ارثوذكسية)

٤- كنيسة القديس انطونيوس (يونانية أرثوذكسية)

٥- كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل ورئيس الملائكة جبرائيل (يونانية أرثوذكسية)

٦- كنيسة القديس كيرلس الأول في كليوباترا (قبطية ارثوذكسية)

٧- كنيسة القديسة كاترين (كاثوليك لاتيني)

٨- كنيسة القيامة في المنشية (يوناني أرثوذكسية)

٩- كنيسة القديس إيليا (يونانية أرثوذكسية)

١٠- كنيسة مار جرجس في سبورتنج (قبطية أرثوذكسية)

١١- كنيسة القديس جرجس (يونانية أرثوذكسية)

١٢- كنيسة الحمل المقدس في الابراهيمية (يونانية كاثوليكية)

١٣- كنيسة الجزويت في كيلوباترة (لاتيني يونانية)

١٤- كاترائية مار مرقس في الرملة (قبطية أرثوذكسية)

١٥- كنيسة القديس مرقس في الشرابي (لاتينية كاثوليكية) وتمارس أيضا خدمات روحية قبطية أرثوذكسية وقبطية كاثوليكية

١٦- كنيسة القديس مرقس في الشاطبي (قبطية أرثوذكسية)

١٧- كنيسة مار مرقس والقديس نكتاريوس في الرملة (يونانية أرثوذكسية)

١٨- كنيسة مار مرقس وكنيسة البابا بطرس الأول (قبطية أرثوذكسية)

١٩- كنيسة السيدة مريم العذراء في جاناكليس (قبطية أرثوذكسية)

٢٠- كنيسة القديسة مريم في العصفرة (قبطية ارثوذكسية)

٢١- كنيسة مار مينا فلمنج (قبطية أرثوذكسية)

٢٢- كنيسة مار مينا في المندرة (قبطية أرثوذكسية)

٢٣- كنيسة القديس نيكولاس (يونانية أرثوذكسية)

٢٤- كنيسة القديس باراسكيفي (يونانية أرثوذكسية)

٢٥- كاتدرائية القديس سافا في الرمل (يونانية أرثوذكسية)

٢٦- كنيسة القديس تكلا هيمانوث (قبطية أرثوذكسية)

٢٧- كنيسة القديس ثيودور (يونانية أرثوذكسية)

هذه هي أسماء بعض الكنائس التي أستطاع المؤلف أن

يجمعها في الإسكندرية ولا شك أنه توجد كنائس قبطية أخرى كثيرة سواء في الإسكندرية أو المدن الجديدة المحيطة.

وأما عن الجوامع الإسلامية فهي كثيرة لأن بعضها موجود في أركان المباني الكبيرة والصغيرة بالإضافة إلى الجوامع الكبرى في المدينة.

نذكر هذه الكنائس والجوامع لنوضح مدى تغلغل الناحية الروحية في شعب مصر. ولكن للأسف تطورت الناحية الإسلامية في بعض الجوامع إلى مراكز لكراهية المسيحيين مما أدى إلى بعض هجمات عليهم في كنائسهم وراح ضحية ذلك بعض الشهداء. ولكن الحكومة المصرية تعمل جاهدة لمنع هذه الهجمات وموجات التعصب الديني التي يثيرها الأخوان المسلمون في الإسكندرية.

الكنيسة القبطية

بالرغم من أننا كتبنا في عدد كبير من الكتب عن الكنيسة القبطية ومقرها الأصلي هو الإسكندرية يرى المؤلف أنه لا يستطيع أن يكتب عن مدينة الإسكندرية دون أن يعرض ولو في خلاصة سريعة عن كنيسة الإسكندرية المصرية الأرثوذكسية كما فعلنا مع كنيسة اليونان.

الكنيسة جزء هام في أسرة الكنائس الشرقية الأرثوذكسية ولكن لها وجود مستقل منذ مجمع خلقدونية سنة ٤٥١ ميلادية عندما اتخذت خطا مختلفا في موقفها اللاهوتي في المسيحية. عن بقية الكنائس الشرقية الأرثوذكسية والكنائس الغربية مما أدى إلى إنقسام كبير في الكنائس الشرقية فصمدت الكنيسة القبطية بقيادة البابا أثناسيوس الرسولي. نادت الكنيسة القبطية

Coptic Orthodox Patriarchate of Alexand and of All Africa



Coptic Orthodox cross
Reads: Jesus Christ, the Son of God

بفلسفة لاهوتية خاصة بطبيعة السيد المسيح له المجد. أصدر المؤلف كتابا بأكمله عن القديس أثناسيوس الكبير.

كما نعلم أسس الكنيسة القبطية القديس مرقس الرسولي والإنجيلي في منتصف القرن الأول الميلادي (بالضبط حوالي سنة ٤٢ ميلادية) ويرأس هذه الكنيسة بابا الإسكندرية وبطريرك كل أفريقيا والخمس مدن الغربية. يجلس على عرش هذه الكنيسة الأن صاحب القداسة والغبطة الأنبا شنودة الثالث. ويتبع هذه الكنيسة حاليا أكثر من ٩٥٪ من المسيحيين المصريين وهم أقباط أرثوذكس بالرغم من أن هناك بعض الكنائس الأخرى تدعى ملكيتها

لهذا اللقب «بابا وبطريرك كنيسة الإسكندرية» ومن بينهم

١- كنيسة الإسكندرية اليونانية الأرثوذكسية

٢- كنيسة الإسكندرية للأقباط الكاثوليك

٣- كنيسة الإسكندرية للملكانيين الكاثوليك الملكانيين لأنطاكية والإسكندرية وأورشليم.

تحدد في الإنجيل المقدس أن مصر هي المنطقة التي هاجرت إليها الأسرة المقدسة عندما هاجرت من اليهودية. جاء في إنجيل متى البشير (الاصحاج الثاني آية ١٣) «وبعدما انصرفوا وإذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلم قائلا خذ الصبي وأهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبي ليهلكه. فقام وأخذ الصبي وأمه ليلا وأنصرف إلى مصر وكان هناك إلى وفاة هيرودس لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل من مصر دعوت ابني».

الكنيسة القبطية المصرية التي عاشت حتى الآن حوالي عشرين قرنا كانت غالبا مدينة الإسكندرية تعتبر نفسها أنها هي التي كانت الهدف من نبوءات كثيرة في العهد القديم وتخص بالذكر سفر أشعياء النبي في الاصحاح ١٩ آية ١٩ «يقال لأحداها مدينة الشمس وفي ذلك اليوم سيكون مذبح للرب في أرض مصر وعمود للرب عند تخمها فيكون علامة وشهادة لرب الجنود في أرض مصر».

كان المسيحيون الأوائل في مصر من اليهود الذين كانوا يعيشون في الإسكندرية مثل ثاوفيلوس الذي وجه إليه القديس لوقا الإنجيلي رسالته التي قدمت إنجيله المبارك. وعندما تكونت الكنيسة بفضل جهود القديس مرقس تحت حكم الامبراطور

الروماني نيرون انضمت أعداد كبيرة من المصريين إلى كنيسته وأعتنقت المسيحية. انتشرت المسيحية بسرعة فائقة في مصر في خلال نصف قرن منذ عهد مرقس الرسول. وقد اكتشفت بجلاء النصوص والكتابات في بهنسا - مدينة في وسط القطر المصري - التي ترجع إلى حوالى عام ٢٠٠ ميلادية. من بين ما اكتشف في هذه المدينة أجزاء متناثرة من إنجيل يوحنا مكتوبة باللغة القبطية الصعيدية وترجع إلى النصف الأول من القرن الثاني.

وكتب المؤرخ يوسفوس الذي عاش في وقت السيد المسيح له المجد أنه عندما زار مصر قبل سنة ٧٠ ميلادية وجد أن مصر غارقة بالمسيحيين وأنه اشتم رائحة البخور وسمع أصوات الترانيم تصدر من كل بيت كان ذلك أقل من ثلاثين سنة فقط بعد شهادة القديس مرقس. قال المؤرخ اليهودي يوسفوس «كانت مصر رومانية في الحكم ومسيحية في القلب». وكان المسيحيون لا يرهبون الاضطهادات والموت بل يسعون اليهم ليعيشوا مع المسيح فذلك أفضل جدا لهم من حياة القهر والاستعباد الروماني.

ولعل من أعظم ما ساعد على انتشار المسيحية في مصر المدرسة اللاهوتية الأولي التي أسسها القديس مرقس الرسول نفسه ويليها المدرسة الأرثوذكسية اللاهوتية التاريخية في الإسكندرية التي أصبحت أعظم مدرسة لاهوتية في العالم ومن بين من تولي التدريس فيها القديس أرمانيوس والقديس أثيناجوراس Athenogoras والقديس كلمنت الإسكندري والقديس ديديموس والقديس المصري أوريجانوس الذي كتب أكثر من ستة ألاف مقالة في اللاهوتيات ومن أهمها كتابة «هكسابلا Hexapla».

وبالاضافة إلى ذلك كان من أعظم ما أسسته الكنيسة القبطية نظام الأديرة بفضل قديسين خالدين مثل أنبا أنطونيوس والقديس بول وانبا مكاريوس الكبير وأنبا باخوميوس. كانوا جميعا مبعثا لكثير من النظريات اللاهوتية في العالم أجمع من منارة الإسكندرية ومن الصحروات المصرية. من هذه الأديرة القبطية التي ولدت في مصر انبثق شعاع المسيحية وتعاليهما الصحيحة إلى كل نواحي المعمورة. أرسلت الأديرة بعثات إلى كل العالم وخلقت عالما مسيحيا لأول مرة كما أجتذبت الاسكندرية عددا من علماء اللاهوت لتبادل الآراء وتطوير المعرفة إلى صورتها الصحيحة. عندما جاء القديس أرميا الذي ترجم الإنجيل لأول مرة إلى اللاتينية ظل في الكلية الاكليريكية بالاسكندرية فترة عندما كان في طريقه إلى أورشليم واستطاع أن يتدارس مع علماء اللاهوت في الاسكندرية عدة نظريات. وهذا أيضا ما يذكره التاريخ عن زيارة القديس باسيليوس رئيس أساقفة قيصيرية الذي أسس أديرة في منطقته على نمط الأديرة القبطية كما أنتقل نظام أديرة الانبا باخوميوس إلى فرنسا وإيطاليا وانشيء نظام بأكمله للأديرة الأوربية على نمطها الروحي المتشدد.

ومن بطريركية الإسكندرية انبعثت أيضا عقيدة نيقية التي نادي بها الأنبا اثناسيوس الرسولي وأصبحت هذه العقيدة جزءا متكاملا في القداسات الإلهية الأغلبية الساحقة من كنائس العالم منذ القرن الرابع الميلادي بعد قرار مجمع نيقية.

وفي مجمع أفسس واجه كنيسة الإسكندرية مشكله أخرى – المشكلة النسطورية. مصدر هذه المشكلة كان هو أسقف القسطنطينية في القرن الخامس. نادى الأسقف نسطور أن السيد المسيح لم يكن إلها بالطبيعة ولكن الله الكلمة جاء إلى البشرية

ولبس جسم إنسان يسوع. ومعني ذلك أن يسوع المسيح ليس إلها بالطبيعة ولكنه أصلا بشرا وتجسد فيه الرب. ويترتب على ذلك أنه لا يجوز أن يطلق على السيدة العذراء «أم الإله Theotokos . فالسيد يسوع المسيح ليس إلها بالطبيعة ولكن الله سكن فيه وأعطاه القوة أن يفعل المعجزات التي قام بها. مواجهة لهذه المشكلة تحمل مسئوليتها القديس كيرلس الأول بابا الإسكندرية الذي تحرك مباشرة لإصلاح مفهوم اسقف القسطنطينية. هناك فارق كبير بين أن يكون السيد المسيح هو الكلمة ذاته وأن الكلمة جاء وحل في جسد يسوع. واستطاع بطريرك الإسكندرية أنبا كيرلس الأول أن تصل إلى موافقة اجماعية تنكر فكرة بطريرك القسطنطينية وأن نحترم السيدة العذراء على أنها أم الإله الحقيقي. وجاء في نص القرار ما يأتي: نعظمك يا أم النور الحقيقي ونمجدك أيتها القديسة أم الإله Theotokos لأنك ولدت لنا مخلص العالم. نمجدك يا ملك الملوك.. الملك يسوع المسيح فخر جميع الرسل والقديسين وتاج الشهداء. إنك فرح الطريق الصحيح لجميع الكنائس وغافر جميع الخطايا. أنت الأقنوم الثاني من جوهر الله الآب. إننا نعبدك ونمجدك أيا السيد.. أرحمنا يا الله باركنا أيها السيد أمين». كان انتصارا حقيقيا لبطريرك الإسكندرية أن يصدر قرار بالموافقة على هذا النص. تخيل معي كيف أن كنيسة الإسكندرية أنقذت العالم للمرة الثانية من الانحراف في تفسير المسيحية بعد الانحراف الأول الذي كان يحدث في مجمع نيقية.

وفي مجمع خلقدونية Chalcedon الذي عقد عام ٤٥١ للمرة الثالثة وقفت كنيسة الإسكندرية موقفا جبارا في مواجهة الامبراطور مارشانوس وجها لوجه. كان الامبراطور حاضر المؤتمر وإذا بالبطريرك الاسكندري أنبا ديوسقورس Dioscorus يطالب بأنه

ليس من حق الامبراطور أو أي حكومة أن تتدخل في شئون الكنيسة. يجب أن يكون هناك فصل تام بين الدولة والكنيسة فما لله لله وما لقيصر لقيصر. وكان رد فعل الامبراطور لهذه الشجاعة غير المعهودة أو المنتظرة أن قرر نفي بابا الإسكندرية ولكن المجمع وافق على أن هذا التصريح الذي أبداه بابا الاسكندرية. ووافق مجمع خلقدونية مرة أخرى أن السيدة العذراء حملت بالسيد المسيح من الروح القدس الذي حل عليها. وأذن فالسيد المسيح جاء إلى العالم من الروح القدس ذاته .. إنه الله الكلمة ذاته. لرب المجد طبيعة واحدة وهو الكلمة المتجسد. ولكن الكنيسة الملكانية كانت الوحيدة لم توافق على هذا النص الذي ذكرناه واعتبرت منذ هذه اللحظة أن كنيسة الإسكندرية لها أثنان من البابوات. أحدهما قبطي من أتباع القديس مرقس يؤمن أن السيد المسيح مولود غير مخلوق إله حق من إله حق نور من نور وهو الإله الحقيقي وأن يكون للإسكندرية بابا آخر يتبع المذهب الآخر الذي نبلور بوضوح في أثناء مناقشات مجمع خلقدونية ودعا إليه الامبراطور مارشيانوس الذي كان حاضرا المؤتمر.

دعا الامبراطور وأعوانه من كنيسة القسطنطينية أن للسيد المسيح طبيعتان وليس طبيعة واحدة احداهما إلهية والأخرى انسانية وكلاهما ممتزجتان في جسد السيد يسوع المسيح.

وقرر الامبراطور أن بطريركية الإسكندرية بقسميها يتولى أحدهما بابوية الإسكندرية ويتولى الآخر بابوية أفريقيا.

رفضت كنيسة الإسكندرية بكل الشعب القبطي من ورائها بتعضيد كامل هذا القرار الامبراطوري. أراد الامبراطور بذلك القرار أن يحد من سلطته بابوية الإسكندرية.

ويعتقد الشعب القبطي أن بابا الإسكندرية منع من حضور المجمع الثالث بالقوة ولعب اساقفة روما دور وراء ستار لهذا التصرف حتى لا يعارض في فكرة الطبيعتن لأنه كان ينادي بأنه ليس هناك أي امتزاج أطلاقا لأنه ليست هناك طبيعتان بل طبيعة واحدة هي جوهر الله.

تحملت الكنيسة القبطية اضطهادات كثيرة من الحكومة البيزنطية وكنيستها كان البطاركة الملكانيين يسيطرون تماما على تفكير الامبراطور وأعوانه. وعاني الشعب القبطي عدة مذابح لأراخنة الكنيسة الذين اعتبرتهم كنيسة القسطنطينية التي اعتبرتهم هراطقة ولهذا وقعوا عليهم عذابات كثيرة واستشهد منهم أعداد مهوله بسبب هذا الخلاف الديني في اللاهوت. ولكن رغم ذلك بقي الأقباط مؤمنون بعقيدتهم مهما حدث. وكان من أهم الثابتين على عقيدتهم القبطية في الطبيعة الواحدة للاله الكلمة يسوع المسيح القديس صمويل المعترف.

استولت الجيوش العربية الإسلامية على مصر سنة ٦٣٩ م ومع ذلك استمرت مصر أرضا مسيحية. إلا أنه عبر العصور المتوالية كان بعض الأقباط يتحولون إلى الإسلام تدريجيا حتى أصبحت مصر في القرن الثاني عشر دولة إسلامية. كان وراء هذا التحول التدريجي الاضطهادات المتواصلة التي أنزلها عليهم خلفاء الدولة الفاطمية وعلى الأخص في عهد الحكيم بن عمرو الله (٩٩٦- ١٠٢١) وقبول بابا الاسكندرية جبريل بن طريق اللغة العربية في القداس. كان المسيحيون مضطرون أن يدفعوا جزية تفوق قدرة بعضهم مقابل أن تكون لهم حماية من الجيش العربي. استمر الالزام بدفع الجزية حتى عام ١٨٥٥ ميلادية. كانت الفلسفة هي «إدفع وإلا .. لا حماية».

وفي سنة ١٩٥٩ في عهد البابا كيرلس السادس نالت كنيسة اثيوبيا (الحبشة) الحق في أن ترسم بابا خاص لكنيستها التي كان مركزها أديس ابابا وكان يطلق عليها الكنيسة الحبشية الأرثوذكسية التوحيدية Ethiopian Orthodox Tewahedo Church. وقد تم الفصل الكامل بين الكنيستين القبطية والأثيوبية عام ١٩٩٤.

الفصل الرابع

مدينة الناصرة

تقع مدينة الناصرة حوالي ١٥ ميلا من بحر الجليل وحوالي عشرين ميلا من البحر الأبيض المتوسط. لم تذكر الناصرة إطلاقا في العهد القديم. كانت قرية صغيرة جدا حتى انها لم تذكر كمقر لأي من القبائل.. ولم تتضمنها القائمة التي شملت ٤٥ مدينة التي ذكرها المؤرخ يوسفوس والتي شملها التلمود في العهد القديم. لم يذكر أنها كانت مقرا لكاهن أو لملك. وهذا يفسر ما جاء على لسان نثنائيل في إنجيل يوحنا البشير (أصحاح ١ آية ٦) «أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح». كانت قرية منعزلة وليست على الطريق التجاري وليس لها قيمة اقتصادية.

ليس هناك تأكيد حتى عن أصل كلمة الناصرة. كلمة ناصرى في العبرية معناه راهب أو شخص وهب نفسه لخدمة مقدسة. وقد تعني الشخص الذي وهبه والده لخدمة روحية مدى الحياة أو لفترة محددة في حياته. ولهذا كانت كلمة «ناصرى» هو اللقب الذي أطلق على السيد المسيح له المجد.

وهناك تفسير آخر لكلمة الناصرة في اللغة العبرية يوافق عليه علماء التاريخ. كلمه Netzer وبالعبرية «ناصر» كان معناها في القديم مخلص أو شخص يساعد على الانتصار ويعود إلى جنود أو مساعدى أحد الملوك. على أي حال أصبحت الناصرة هي مهد المسيحية من سنة ٢٠ إلى سنة ٣٢ ميلادية.

قبيل مولد السيد المسيح له المجد كانت القديسة مريم العذراء تعيش في مدينة الناصرة. وهكذا عاش فيها السيد المسيح رب المجد منذ الميلاد إلى سن الرجولة المبكرة. بالنسبة لسكان الناصرة في هذه الفترة كان السيد المسيح له المجد يعتبر كأحد أفراد البشرية وأبن القديس يوسف النجار. كانوا دائما يعرفون أنه من نسل داود النبي. وتدل البحوث الاركيولوجية أنه كان في الناصرة مكان للعبادة وأن مكان البشارة معروف ومحدد لهم. وفي القرن الرابع الميلادي اكتشفت البحوث عدة عملات وآثار لمباني قديمة مهدمة وعرفوا أنها آثار يهودية قديمة لمعبد وبعض الأثار الأخرى التي تعود إلى القرن الأول.

وفي سنة ٣١٣-٦٣٦ بنى البيزنطيون كنيسة لا تزال بقاياها يستخدم حتى اليوم للعبادة. إلا أنه من القرن السادس حتى الثاني عشر تعرضت لعدة عوامل حطمت بعض أجزاء المبني ثم أعيد بناؤه عدة مرات. اختفت هذه المباني بعد مجئ العرب وأستيلاؤهم على فلسطين سنة ٦٣٨ ولكن أعيدت في نفس البقعة مباني أخرى تحت حكم العرب وفرضت على المسيحيين جزية كبيرة.

وعندما جاءت الحملات الصليبية عدة مرات (١٠٩٩-١٢٩١) تمتعت الناصرة بفترة قصيرة حيث وبني الصليبيون كنيسة فاخرة على النمط الروماني استلزمت حوالى مائتى سنة لكي تتم.

ولكن بعد أن أنتصر صلاح الدين الأيوبي أعاد المسلمون الاستيلاء على الكنيسة وقتلوا عددا من المسيحيين في داخل الكنيسة ولكنهم بعد ذلك أخذوا يهتمون بالحصون والقلاع والقصور واستمرت هذه الحركة حتى عام ١٢٩١ بعد أن وصل

إلى السلطة المماليك الذي جاءوا من مصر. ولفترة تالية ظلت الناصرة شبحا لمدينة يزورها القلة من الحجاج. وكان يسود على المدينة كل مظاهر الاهمال.

وفي سنة ١٦٢٠ استولى الفرانسيسكان على موقع البشارة وبدأ صراع طويلا بينهم وبين المسلمين بخصوص الأبنية التي أراد الفرانسيسكان إنشاءها. وفي سنة ١٧٢٦ سمح بأنشاء كنيسة كبيرة في هذا الموقع. وفي سنة ١٨٧٧ اتسع نطاق المباني واستكملت سنة ١٩٥٤. كانت الناصرة منذ عام ١٩٤٨ جزءا من الدولة *الإسرائيلية وسمحت للمسيحيين أن تكون لهم السلطة وحق التملك* لهذه الكاتدرائية الكاثوليكية التي أعيد بناء أجزاء من بنائها على النمط الكاثوليكي. وقد سمحت الدولة الإسرائيلية أيضا ببناء عدة كنائس أخرى أرثوذكسية وإنجليكانية وبروتستنتانية في المدينة. ولكن كتب يوسف فرح في نشراته ومؤلفاته التاريخية أن الدولة الإسرائيلية سمحت بأنشاء جامع إسلامي في نفس المكان الذي نشأ فيه السيد المسيح ومواجها للكاتدرائية المسيحية. نعم وافقت إسرائيل على الخطة الإسلامية في احتلال واستخدام مكان من أعظم الأماكن في تاريخ المسيحية. وعندما علم المسلمون بمظاهر النهضة التي قام بها المسيحيون هددوا بأن يعملوا على أغلاق أبواب الكنيسة بالعنف. وقال المسيحيون أن إسرائيل كانت متحمسة في أن تعطي تسهيلات بأي شكل للمسلمين. ونسوا التعهدات السابقة التي أعطتها الدولة للمسيحيين. عمل تصميم جامع كبير في مواجهة مباشرة لأبواب كنيسة البشارة، (البازيليكا) حيث يقول التقليد التاريخي إن الملاك جبرائيل أنبأ السيدة العذراء بأن الروح القدس سوف يحل عليها وسوف تحبل وتلد عمانوئيل. أدعى المسلمون أنه في وقت الحروب الصليبية قتل أحد الزعماء

المسلمين في هذا الموقع ولهذا طالبوا أنه من حقهم أن يبنوا في نفس هذا المكان جامعا من أكبر الجوامع الإسلامية.

وكون الفاتيكان جمعية مناهضة لهذا الأدعاء وضمت هذه الهيئة بعض اليهود والمسيحيين من جميع المذاهب لمقاومة تنفيذ هذا الجامع وآثبتت هذه الهيئة أنه دائما تحدث مضايقات وتهديدات للحجاج المسيحيين الذين يحضرون لزيارة كنيسة البشارة من الشباب المسيحى وعاون الهيئة في هذا الصراع جامعة أمريكية إنجليكانية بأن قالت أن هذه الكنيسة هي مقر زيارة جميع - المسيحيين من العالم كله. وعلى الأخص من الأقباط الأرثوذكس والانجيليين واليونان الأرثوذكس والمارونيين بالإضافة إلى الكاثوليك. وقالت هذه الهيئة إن مدينة الناصرة ليست مدينة تاريخية هامة للإسلام أو أحدى مدنهم المقدسة وعلى الأخص ذلك الميدان المواجه للكنيسة. إن هذه الإدعاءات الإسلامية هي سياسية في طبيعتها وليس لها أساس ديني. وأدى إلى تهديدات موجهة إلى جميع المسيحين في المنطقة من الأخوان المسلمين. إن مدينة الناصرة مكان للعبادة المسيحية منذ نشأة الدين المسيحي. وبالفعل وجد مجلس المدينة أنه لا يوجد أى حق قانوني في الاستيلاء على هذه البقعة من الأرض ولكن رغم ذلك استمر الضغط. أعطت لجنة تخصيص الأراضي الإسرائيلية للمسلمين الحق في الاستمرار في احتلال الأرض لبناء الجامع في وقت قريب في المستقبل ولكن ليس في الوقت الحاضر. وبهذا لعبت السياسية دورا في الموضوع بمجرد تأجيله.

لقد أثبتت هذه الأزمة أن الحكومة الإسرائيلية تستجيب فقط للضغط السياسي. ولهذا تطالب هيئة كنيسة البشارة إلى العمل

لإثارة الضغط الدولى هيئة كنيسة البشارة إلى العمل لإثارة الضغط الدولى على إسرائيل للوصول إلى حل نهائي.

لمدينة الناصرة أهمية خاصة في تاريخ المسيحية فقد أطلق على السيد المسيح لقب «يسوع الناصري» وكان يطلق لقب «الناصريين» على كل المسيحيين أو كما قالوا «اتباع المسيح» جاء في إنجيل متى البشير اصحاح ٢٧ آية ٧١ (ثم إذ خرج إلى الدهليز رأته أخرى فقالت للذين هناك وهذا كان مع يسوع الناصري). وجاء في إنجيل القديس مرقس الرسولي اصحاح ١٤ آية ٦٧ «وأنت كنت مع يسوع الناصري».

وكان لمدينة الناصرة أيضا أهمية تاريخية خاصة لأنها ألقت الضوء على الأسرة المقدسة وعلى الأخص السيدة العذراء الطاهرة مريم أم الإله وعلى خصائصها كانت سيدة نبيلة طاهرة بسيطة تتمتع بقلب نقي طاهر. والوصف الذي جاء عن السيدة العذراء أنها أم مخلصة أعطت كل وقتها لتعليم وتربية ابنها الطفل يسوع وظلت طوال حياتها مخلصة له تحت كل الظروف حتى في وقت الصلب وتعترف دائما بأنه السيد المسيح ذاته. للسيدة العذراء مكانه خاصة جدا في العهد الجديد. وجاء في إنجيل القديس لوقا البشير أن السيدة العذراء عندما راتها اليصابات في بيتها في الاصحاح ١ آية ٤٠ «فلما سمعت اليصابات سلام مريم أرتكضح الجنين في بطنها وامتلآت اليصابات من الروح القدس وصرخت بصوت عظيم وقالت مباركة أنت في النساء ومباركة هي ثمرة بطنك فمن أين لي أن تأتي أم ربي إلي».

الفصل الخامس

مدينة أورشليم

كثيرون لا يعرفون عن أورشليم أكثر من أنها المدينة التي زارها السيد المسيح له المجد في مناسبات مختلفة وانتهت بصلبه وقيامته من الأموات. وقد يعرف القليلون أنها كانت موجودة في فترات معينة في العهد القديم ولكنهم لا يعرفون متى بدأت أو ماذا حدث لها بعد ذلك.

والواقع أنه من الناحية التاريخية تعتبر مدينة أورشليم من أغني مدن العالم ومن أكثرها تداولا في الحروب والثقافات والحضارات التي تداولتها. وهذا ما دفع المؤلف إلى أن يبدأ أولا بذكر الحضارات المختلفة في تلخيص سريع.

- الوثائق التاريخية تؤكد أن المدينة كانت مسكونة منذ عام ٣٥٠٠ (ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة قبل الميلاد).

- ذكر اسم أورشليم في القرن التاسع عشرقبل الميلاد إذ كانت أحدى المدن التي استولت عليها مصر كان اسمها عندئذ روساليموم Rusalimum.

- منذ سنة ١٧٥٠ ق. م حتى سنة ١٥٠٠ قدم ذكر اسم أورشليم مرتبطا بحياة الهكسوس حيث كانت قبائل الهكسوس تنمو في قوتها وأستخدامهم للخيول في تدريباتهم العسكرية.

- وفي القرن الرابع عشر قبل الميلاد ذكر أسم أورشليم في مراسلات العلاقات الدبلوماسية في وثيقة وجدت في تل العمارنه وكان الاسم المذكور في هذه الوثيقة يوروساليم Urisalim

- ومن سنة ١٠١٠ ق. م. حتى عام ٩٧٠ ق. م. كانت مقرا لحكم الملك داود حيث كتب سفر المزامير. وفي سنة ١٠٠٣ اعتبرها الملك داود عاصمة للدولة الموحدة إسرائيل.

- ومنذ عام ٩٧٠ ق. م. إلى عام ٩٣١ ق.م. كانت أورشليم مقر حكم الملك سليمان وفيها بدأ الملك سليمان عام ٩٥٠ق.م. في بناء المعبد الأول وفي عام ٩٣١ انضم تحت حكمها كل دولة إسرائيل واليهودية Judah .

- ومن سنة ٨٣٧ ق. م. إلى عام ٨٠٠ ق.م. كانت مقر حكم الملك حزقيال. ويذكر في هذه المناسبة بحيرة سلوام.

- وفي سنة ٧٢١ ق. م. قام الأشوريون بغزو مدينة أورشليم وشمال مملكة إسرائيل وأسر القبائل الاثنا عشر ولكن أطلق سراحهم بعد ذلك. وفي عام ٧٠١ ق.م. نجح حزقيال في التغلب على قوات سمحريب التى كانت تحاول الاحتفاظ بأورشليم.

- وفي السنوات ٥٩٨ق.م - ٥٨٧ق.م قام نبوخذ نصر بإعادة الاستيلاء على أورشليم.

- وفي عام ٥٩٧ استطاعت قوات بابيلون الاستيلاء على أورشليم ولكن في عام ٥٨٨ق. م - ٥٨٦ق.م أعاد نبوخذ نصر الاستيلاء على المدينة وحطم معظم مباني المدينة بما في ذلك المعبد الأول وأخذ اليهود كأسرى غلى بابيلون ولكن في عام ٥٣٩ ق.م سقطت بابليون وتلا ذلك حكم فارس.

– في عام ٥٣٨ استولى سيرس Cyrus على المدينة وأعاد إليها حوالى خمسين ألف من اليهود الأسرى في العام التالي.

– وفي عام ٥٢٠ ق.م بدأ أعادة بناء المدينة والمعبد الثاني الذي تم بناؤه في عام ٥١٥ على يد اتباع عزرا الذى جاء بنفسه من بابليون عام ٤٥٨. وقد عين نحميا حاكما لجوديا Judea في عام ٤٤٥. وق. م في عهد أرتاكسركس Artaxerxes. وفي سنة ٣٩٧ ق.م قام عزرا بالاصلاحات الدينية وبعد ذلك جاء عهد جديد هي المرحلة اليونانية منذ عام ٣٣٢ق.م.

– تبدأ هذه الرحلة بعد أن تغلب الإسكندر الأكبر على داريوس الفارسى في موقعة جوجوميلا Gaugamela ويذكر سفر دانيال ١١:٣ أنه تم الاستيلاء على فلسطين كلها ومدينة أورشليم. ومنذ تلك اللحظة بدأ العمل على تغيير الحضارة إلى اليونانية تدريجيا منذ عام ٤٢٣ ق.م.

– وبعد فترة الاسكندر أعاد بطليموس الأول الاستيلاء على أورشليم في عام ٣٢٠ق.م واستمر الحكم المصرى البطليموسى حتى عام ١٩٨ ق. م. قدم أى أن مصر البطليموسية حكمت خكن الملك سلوسيول Seleuciole واستمر حكمهم حتى عام ١٦٧ ق. م.

– بدأت ثورة الماكابين Maccobeam منذ عام ١٦٧ق.م. وأعلنوا حرب الاستقلال في عام ١٦٤ق.م. واستطاعوا أن يستولوا على أورشليم وأعادوا بناء المعبد مرة أخرى وتم بناؤه عام ١٦٠ق.م. واستمر حكمهم إلى عام ١٤٣ بقيادة جوناثان Jonathan وتلاه حكم سمعان المكابي Simon Maccabeus حتى عام ١٣٥ق.م. وتلا ذلك العصر الروماني الذى استمر من عام ٦٣ ق.م. إلى عام ٣٢٤ ميلادية أى حوالي ٣٨٧عام.

- في عام ٤٠ ق. م عينت روما الملك هيرودوس على اليهودية Judea واستمر حكمه إلى عام ٣ ق.م .

- تلا ذلك حكم هيرودس الكبير من عام ٤ ق. م إلى عام ٣٧ ميلادية. وفي عهده بدأ الاعداد لبناء المعبد في عام ١٩ الميلادية. ويذكر بعض المؤرخين أنه حوالي سنة ٤ ميلادية كان ميلاد يوحنا المعمدان والسيد المسيح له المجد. وفي يوم ٣١ أبريل سنة ٢٥ م (١٤ نيسان) صلب السيد المسيح له المجد وقام في اليوم الثالث.

- وفي عام ٤١-٤٤ قام الملك هيرودس أجريباس ملك اليهودية (جوريا) ببناء السور حول المدينة. وفي عام ٤٤ ميلادية قتل بسيفه يعقوب الرسول أول شهداء التلاميذ. وفي نفس العام مات الملك أجريباس وتهدم بناء المعبد في عام ٦٣ ميلادية. وفي عام ٦٦-٦٣ استمرت ثورة اليهود الكبرى ضد الرومان.

- وفي عام ٧٠م سقطت أورشليم في يد تيطس الروماني (Titus) وتحطم المعبد الثاني. وسقطت ماسادا سنة ٧٣م.

- وحدثت حرب كشبا Kochba للتحرير وأعيد أختيار أورشليم كعاصمة ولكن الامبراطور دريان سنة ١٣٥م حطم مباني أورشليم مرة أخرى.

- ومن عام ٣٢٦ بدأ عهد الدولة البيزنطية وتغيرت قواعد السلطة تماما.

- ففي عام ٣٢٦ ميلادية ذهبت الامبراطورة هيلانا زوجة الامبراطور قسطنطين لزيارة أورشليم. قامت الامبراطورة هيلانة بأبحاث مسيحية كبيرة في كل نواحي أورشليم وأمرت بتشييد الكثير من المباني التي ترتبط بتاريخ المسيحية وأقامت العديد من الكنائس التي ترتبط بجميع تحركات السيد المسيح له المجد. كان من أهم

هذه المباني كنيسة القيامة التي انشئت عام ٣٣٥م. وفي عام ٤٣٨ أصدرت الامبراطورة بودوسيا قرارا يسمح لليهود بالعودة للحياة في أورشليم حسب رغبتهم.

- ولكن منذ عام ٦١٤ ميلادية عاد الفرس واستولوا على أورشليم وحطموا عددا كبيرا من الكنائس وطردوا اليهود من المدينة.

- وفي سنة ٦٢٩ م أستطاعت الدولة البيزنطية أعادة الاستيلاء على أورشليم واستمروا في المدينة حتى مجئ الإسلام في عام ٦٣٨م بقيادة عمرو بن العاص وخالد بن الوليد.

- في عام ٦٣٨م أي ست سنوات فقط بعد وفاة نبي الإسلام أستطاع الجيش العربي الإسلامي من الاستيلاء على أورشليم وتدريجيا بدأت حضارة إسلامية جديدة. وفي عام ٦٩١م في عهد الخليفة عبد الملك أقيم مسجد الصخرة في اورشليم وفي عام ٧٠١ تم بناء المسجد الأقصى في عهد الخليفة الوليد. وفي عهد الحاكم بأمر الله صدر الأمر بهدم وتحطيم جميع المعابد اليهودية والكنائس المسيحية.

- ومنذ عام ١٠٩٩ حتى عام ١٢٤٤ كانت فترة الحروب الصليبية تحت قيادة جودفرى دي بويون Godfrey de Bouillon الذي استطاع أن يستولى على أورشليم بناء على نداء من البابا أوربان Urban في عام ١٠٩٦ م وقام بتعيين بولدوين Baldyin ملكا على أورشليم.

- وفي عام ١١٨٧ استطاع القائد الكردى الأصل صلاح الدين أن يستولى على أورشليم وانتصر على الصليبيين. وسمح للمسلمين واليهود بالعودة إلى أورشليم.

– وفي عام ١١٩٢ عاد رتشارد قلب الأسد حاول مرة أخرى الاستيلاء على أورشليم وانتهت هذه المحاولة بأن عقدت معاهدة تسمح للمسيحيين بالعودة إلى أورشليم.

– وفي سنة ١٢١٩ م في عهد السلطان مالك المقطم أن يبني أسوارا حول المدينة. وفي عام استطاع الأتراك الخوازمين الاستيلاء على المدينة وأنهاء عصر الصليبين تماما. وبدأ عهد جديد هو عصر المماليك الذي بدأ منذ عام ١٢٤٤م.

– في عام ١٢٤٤ استطاع سلاطنة المماليك أن يهزموا الأسرة الأيوبية وأن يحكموا أورشليم ولكن لم يلبث المماليك المصريون من أن يعيدوا سلطتهم على أورشليم وفي عام ١٢٦٧ وصل إلى أورشليم من أسبانيا رابای موسىَ بن نعمان وأعاد تكوين المجلس الأعلى لليهود وأنشأ المعبد ومركزا للتعليم بحمل اسمه. وفي سنة ١٢٧٥ توقف في أورشليم ماركو بولو في طريقه إلى الصين.

– وفي سنة ١٣٤٨ م أنتشرت الحمى السوداء في أورشليم بالعدوى التي وصلتها من أوروبا وقضت على أعداد كبيرة من اليهود والعرب.

– ومنذ عام ١٥١٧ م بدأ العصر العثماني حيث استولى العثمانيون على أورشليم بطريقة مسالمة في المبدأ بالاستيلاء على المدينة منذ عام ١٥٣٧-١٥٤١ واستطاع السلطان سليمان الكبير أن يعيد بناء الأسوار التي استمر بعضها في الوجود حتى اليوم. تشمل الأسوار سبعة أبواب كما تشمل برج داود وباب دمشق. وفي سنة ١٧٠٠م بنى الراباي يهودا حاسيدى أن يبني معبد «هورفا Hurva» وفي سنة ١٨٣٦م وصل إلى أورشليم لأول مرة السير موسى مونتيفيور Moses Montefiore إلى أورشليم وقام بمفاوضات تقرر بعدها إنشاء أول قنصلية بريطانية في أورشليم عام ١٨٣٨م.

وبعدها بدأت منذ عام ١٨٦٠ الهجرة اليهودية إلى أورشليم بعد أن قام الدكتور تيودور هرزل Theodore Herzl بزيارة القدس وأسس في سنة ١٨٩٨ المؤسسة الصهيونية العالمية.

– وفي عام ١٩١٧م بدأ عصر الوصاية البريطانية على جميع الأراضى الفلسطينية وكان الحاكم العام هو الجنرال اللنبي Genoral Allenby الذى تولى الحكم في أورشليم.

– ومنذ عام ١٩١٨ قام الدكتور حايم وإيزمان Chaim Weisman بوضع الحجر الأساسي لبناء الجامعة العبرية على قمة جبل سكوبس Scopus .

– وفي عام ١٩٢٠ عينت بريطانيا السير هربارت صموئيل Sir Herbert Samuel في منصب المندوب السامى وهو منصب السلطة الإدارية العليا في الدولة.

– وبعد قيام الحرب العربية الإسرائيلية الأولى عام ١٩٤٧ قررت عصبة الأمم المتحدة تقسيم إسرائيل إلى دولتين عربية وإسرائيلية. وقد قبلت إسرائيل القرار إذا قبله العرب. إلا أن الدول العربية رفضت هذا القرار وطالبت أن تعود إسرائيل بأكملها إلى دولة إلى أن تكون دولة عربية ولم تعترف اطلاقا بقيام دولة إسرائيلة في قلب المنطقة العربية.

– وفي يوم ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ انتهي عصر الوصاية البريطانية وانسحبت بريطانيا من المنطقة. وفي نفس اليوم أعلنت إسرائيل استقلالها التام كدولة إسرائيل. وهكذا بدأت مرحلة حروب التحرير والاستنزاف.

– بدأت الحرب الأولى في ١٤ مايو ١٩٤٨ وانتهت بأن إسرائيل بقيت ولكن سقطت أورشليم القديمة في أيدي العرب.

– وفي أبريل ١٩٤٩ عقدت هدنة بين الأردن وإسرائيل وتم التوقيع بموافقة الطرفين على أن تنقسم أورشليم إلى قسم يتبع الأردن وقسم يتبع إسرائيل. إلا أن إسرائيل في يوم ١٢ ديسمبر ١٩٤٩ أعلنت الاستقلال التام لإسرائيل وأن أورشليم هي عاصمة إسرائيل.

– وفي يوم ٥ يونية ١٩٦٧ إنهالت الأردن على مدينة أورشليم الجديدة بالقنابل كمقدمة لقيام الحرب التي عرفت باسم حرب الأيام الستة.. وفي هذه الحرب استولت إسرائيل من جديدعلى أورشليم القديمة وامتدت سيطرتها على بقية فلسطين وشبه جزيرة سيناء وامتدت سلطتها إلى قناة السويس. كان سبب الهزيمة في الجانب المصري أن الطائرات الإسرائيلية فاجأت مصر بهجوم عنيف بالطائرات الإسرائيلية
على جميع المواني الجوية وبهذا أصبحت القوات الجوية شبه مشلولة تماما وأصبحت القوات الأرضية لا تملك الدفاع أرض جو عن نفسها. وكانت القوات الأمريكية والبريطانية والفرنسية تعاونها بمعاونات كبيرة من لحظة إلى لحظة. لم تكن مصر على استعداد لمثل هذه المفاجأت. ونفس الوضع حدث مع سوريا وبهذا استطاعت إسرائيل أن تفاجئ سوريا بنفس المفاجأة واستطاعت أن تستولي على مرتفعات الجولان حتى اليوم.. ورغم ذلك تعهدت إسرائيل دوليا باحترامها لجميع الأماكن الدينية المقدسة في أراضيها.

– وفي عهد أنور السادات كرئيس لمصر صمم أن يسترد كل الممتلكات المصرية ففاجأ إسرائيل بحرب ضاربة واستطاع أن يعبر قناة السويس ويهاجم المراكز الإسرائيلية في سيناء وأدت هذه الحرب إلى وفاة أكثر من عشرة آلاف إسرائيلي وأكثر من

مائة ألف مصري ولكن مصر ظلت تزحف بقواتها في سيناء نحو أورشليم في حين استطاعت احدى الفرق الإسرائيلية أن تعبر القناة متجهة نحو القاهرة ولكنها توقفت إثر دفاع مستميت. وهنا تدخلت أمريكا واستطاعت تحقيق اتفاق بين مصر وإسرائيل حيث أعترفت مصر باسرائيل كدولة وانسحبت جميع القوات الإسرائيلية إلى ماوراء حدود إسرائيل وتم توقيع معاهدة سلام بين الدولتين وبناء على ذلك ذهب أنور السادات لزيارة أورشليم وقابل زعماءها ومنذ تلك الزيارة دام السلام بين الدولتين.

- وفي عام ١٩٩٤ وقعت إسرائيل معاهدة سلام مع قوات حزب PLO الفلسطيني للسلام. إلا أن السلام كان دائما تعترضه هجمات من الجانبين واشتد بنوع خاص في أثناء الحرب اللبنانية الإسرائيلية الذي تعرضت فيه إسرائيل بقنابل لأعدد لها أمدتها إيران للقوات العربية التي كانت تتولي الدفاع عن الحدود اللبنانية. واستمرت هذه الحالة حتى تدخلت الدولة الأوربية وأمريكا ووصلت إلى تعهدات اقليمية مرتبطة بتحقيق وجود الدولة الفلسطينية إلى جانب الدولة الإسرائيلية.

ومن واجبنا أن نذكر أنه حتى هذه اللحظة توجد دولتان فقط «كوستاريكا وسلفادور» اللتين أعترفتا رسميا بأن أورشليم هي عاصمة إسرائيل ونقلنا السفارتين إلى أورشليم. وأما بقية دول العالم بما في ذلك الولايات المتحدة ظلت السفارات المختلفة في تل أبيب على بعد ٤٠ ميلا من أورشليم وذلك في أنتظار تحقيق السلام الدائم بين الفلسطينيين وإسرائيل. وبالرغم من أن الكونجرس أصدر قرار أكثر من مرة بموافقته على الاعتراف بأن أورشليم هي عاصمة إسرائيل إلا أن المسئولين عن العلاقات الأجنبية رفضوا تنفيذ هذا القرار محافظة على العلاقات مع جميع

الدول العربية التي يمكن أن تقطع علاقاتها الدبلوماسية والاقتصادية مع الولايات المتحدة إذا اعترفت بأورشليم كعاصمة قبل تسوية العلاقات السياسية مع الفلسطينيين. من كل هذا التأريخ يتبين بوضوح كيف أن أورشليم خصوصا في العصر الحديث تمثل بقعة كبيرة في التاريخ السياسي للحاضر والمستقبل. بالاضافة إلى الناحية الدبلوماسية فإن أورشليم هي مدينة لأديان الثلاثة.. اليهودية والمسيحية والإسلام ولكل من هذه الأديان تأريخ وقواعد لا تتنازل عنها وتحمل معاني عميقة في صدر كل متدين. ويصل كل متحمس في كل دين أنه يستطيع أن يموت دفاعا عن أحقياته الدينية في أورشليم.

إن التاريخ العظيم لمدينة أورشليم يمثل بساطا للحضارات المختلفة وتشمل خيوطه أساس معتقداته الدينية وصلاته بالله. هذه الأديان الثلاثة أنما تقوم على اساس وحدانية الله ويعتقد كل فرد من هذه الأديان أن المدينة تنتمي إليه أولا وأخيرا ولهذا لا يظل مستقبل أورشليم بدون حل قاطع حتى هذه اللحظة. إن لأورشليم موقع حساس في قلوب الملايين خول العالم.

من كل هذا يتضح جليا أن هذه المدينة التي يسميها اليهود «يوروشاليم Yerushalayim» ويطلق عليها العرب كلمة القدس تمثل لكل منهما العاصمة. إنها أكبر مدينة في إسرائيل سواء من حيث تعداد السكان لأنها تشمل ١٠٠ر٧٣٢ أو من حيث المساحة لأنها تقوم على ٤٩ ميلا مربعا وتقع في قلب اليهودية (جوديا) التي تمتد من البحر الأبيض حتى شمال البحر الميت ولها ذلك التاريخ الطويل الذي ذكرناه من قبل بكل من جاءوا من الأنبياء عبر هذا التاريخ. لهذا يتعبرها اليهود أقدس مدينة في تاريخ اليهود ومركز الحضارة الروحانية منذ القرن العاشر قبل الميلاد.

ومن الناحية الثانية هذه المدينة يعتبرها المسيحيون أقدس مدينة في التاريخ المسيحي وتشمل أكبر عدد من الآثار المسيحية والمواقع التي قامت فيها الحضارة الأولى للمسيحية ليس فقط في العهد الجديد بل أيضا في العهد القديم الذي يحترمه المسيحيون أيضا.

ومن الناحية الثالثة يعتبرها المسلمون ثالث أقدس مدينة في حضارتهم الإسلامية تتلو فقط العاصمة مكة والمدينة لأنها الموقع الذي زاره نبي الإسلام عدة مرات قبل وبعد اعلامية للعقيدة الإسلامية وللآثار الإسلامية والجوامع التي أقيمت عبر التاريخ الإسلامي.

وينبغي أن تعرف أن المنطقة التي تحيطها الأسوار في أروشليم وكانت تعتبر هي مدينة أورشليم يطلق عليها الآن اسم «المدنية القديمة The Old City» حتى عام ١٨٦٠. هذه المنطقة تاريخيا تشمل عدة أقسام لكل منها أهميته.. القسم الذي يشمل المسجد الأقصى وهو أكثر ما يهم المسلمين، والقسم الغربي حائط المباني وهو يمتاز بأهمية خاصة بالنسبة لليهود والقسم الذي يشمل القيامة وهي أعظم الآثار المسيحية في التاريخ وجميع هذه المناطق تقع في المدينة القديمة. وأما مدينة أورشليم الحديثة فهي دائما تتزايد في حجمها حول المدينة القديمة وعلى الأخص من الناحية الغربية ناحية Gush Dan جوش دان . وهناك عدد كبير من العرب يقطنون في الناحية الشمالية والناحية الشرقية والجنوبية. ولكن رغم ذلك فإن مدينة أورشليم بوجه عام تعتبر العظمة الكبرى لتجمعات الإسرائيليين والفلسطينيين وللتصادمات والخلافات اليومية منذ استعادت إسرائيل السيطرة على المدينة القديمة في حرب ١٩٦٨ . ومنذ ذلك الوقت لا يزال العرب الفلسطينيون يقولون

أنها عاصمتهم المنشودة وعاصمة دولتهم المأمولة إلا أن إسرائيل لا تعترف بهذا الوضع حتى الآن على مدى نصف القرن الماضي.

ومن ناحية تعدد السكان نوضح أن النسب السكانية هي ٦٥٪ من اليهود و ٣٢٪ من المسلمين و ٢٪ من المسيحيين ونسبة إزدحام السكان هي ٥٫٧٥٠ ساكنا في كل كيلو متر مربع وأنه في عام ٢٠٠٦ تزايد السكان بوصول ٢٤٥٠مهاجرا وجاء ثلاثة أرباعهم من الولايات المتحدة وفرنسا وروسيا وهؤلاء غالبا ويعيشون في أورشليم ذاتها. إن سكان أورشليم حتى الآن في تزايد مستمر نظرا لارتفاع نسبة تزايد المواليد على الأخص من العرب ومن اليهود الحارديين Heredi مما جعل نسبة زيادة المواليد هي ٤٫٢٠ في حين نسبة الخصوبة مثلا في تل أبيب هي ١٫٩٨ أي أقل من ٢٪.

يمكننا أن نتصور كيف أنه في هذا العدد الكبير من السكان والمتزاحم للوجود يوجد تنافس ديني دائم بين الثلاثة أديان: اليهودية والمسيحية والإسلام. ففي احصائية سنة ٢٠٠٠ تبين الأعداد وجود ١٢٠٤ معبدا لليهود و ١٥٨ كنيسة للمسيحيين و٧٣ مسجدا للمسلمين في مدينة واحدة. بالرغم من أن جهودا مستديمة للمحافظة للسلام لتواجد هذه الأديان وأماكن العبادة فإنه يوجد دائما صدامات تحدث فجأة وخلافات غير متوقعة.

وحتى من الناحية العلمية تجد في أورشليم عدة جامعات يقوم التدريس فيها باللغات الثلاث العبرية والعربية والإنجليزية. وتعتبر جامعة أورشليم أهم هذه الجامعات من حيث تعدد مناهج الدراسة وإمكانية البحوث العلمية ومستوى العلماء الذين يقومون بالتدريس فيها. وعلى سبل المثال كان من بين علمائها البرت أينشتين Albert Einstein وسيجموند فرويد Sigmund Freud وأنتجت هذه

الجامعة عدة علماء ممن حصلوا على جائزة نوبل ومن بينهم «أفرام هيرشكو Sigmund Freud وادفيد جروس David Gross ودانيال كاهمان Daniel Kahman وغيرهم. تشمل مكتبة هذه الجامعة العبرية المقامة على جبل سكوبس Scopus وتشمل هذه الجامعة بنوع خاص كلية طب لها إنجازاتها العلمية. ومن الطبيعي أنه نظراً لمحدودية الإمكانيات تكون الجامعات والمعاهد العربية أقل في المستوي العلمي.

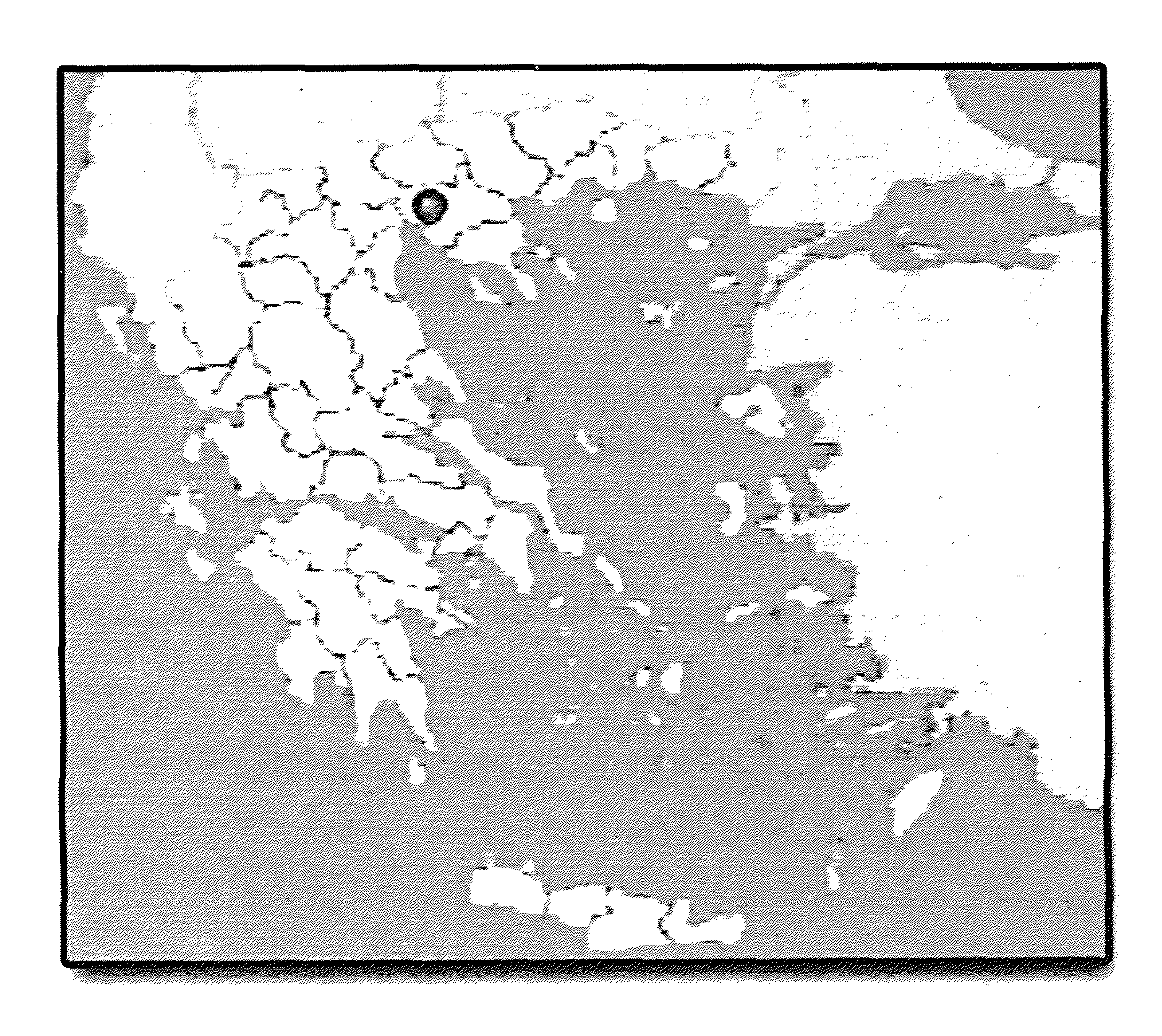
وبالإضافة إلى ذلك يوجد في أورشليم عدة معاهد علمية سواء حكومية أو مستقلة ولكل منها تحقيقات علمية.

الفصل السادس

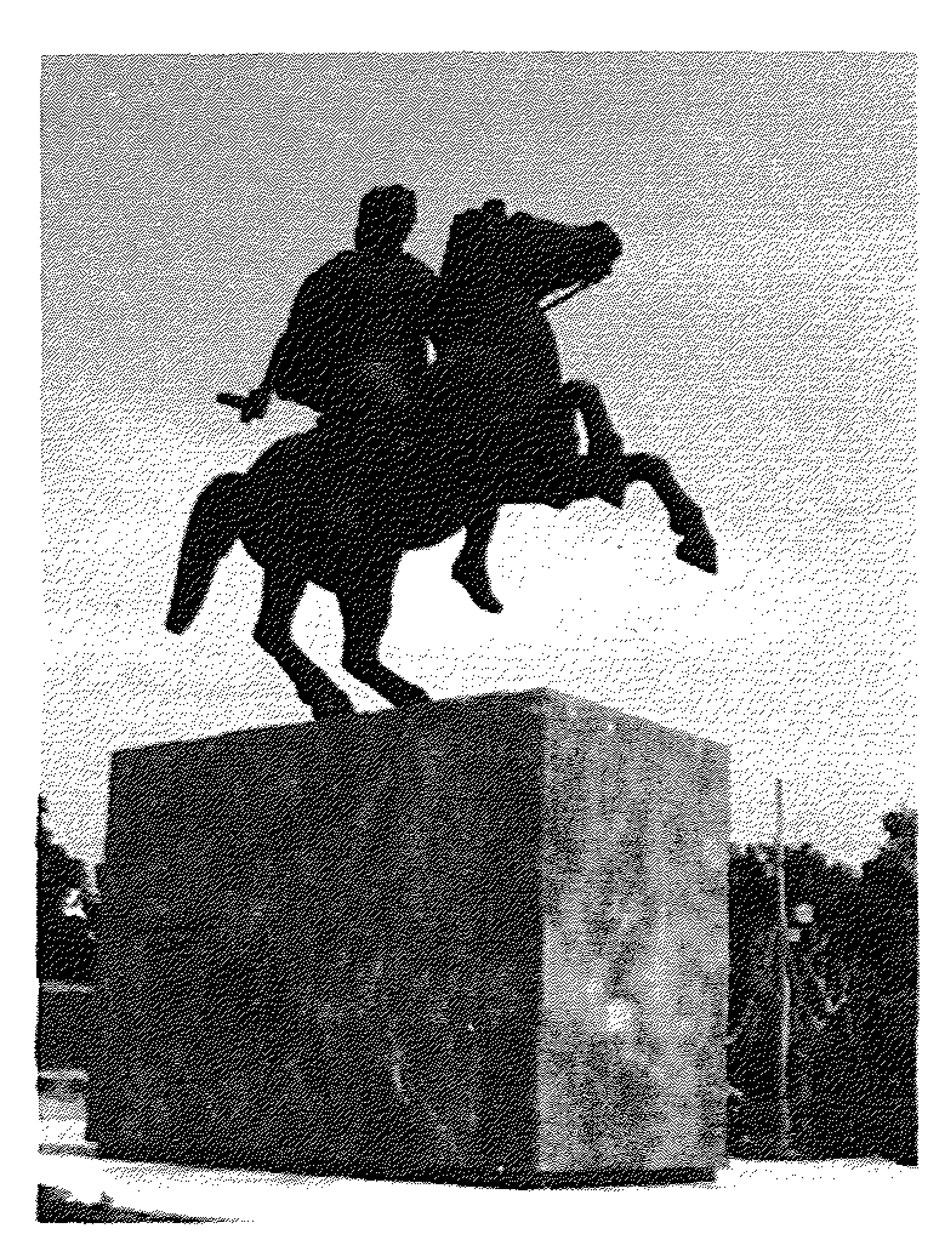
تسالونيكي أو سالونيكا

هي ثاني أكبر مدينة في اليونان وعدد سكانها حاليا ١٫٠٥٧٫٨٢٥ ومساحتها ١٠٨٫٠٨٨ كيلو متر مربع وتعتبر هي عاصمة الاقليم ماكيدونيا أوسع أقاليم اليونان. تشمل المدينة منطقة بها مياه علاجية لبعض الأمراض الجلدية. ومن الناحية الاقتصادية كذلك ثاني أكبر مدينة تجارية في اليونان. لا يزال في المدينة قائما عدة مباني عثمانية ويهودية وبيزنطية كما يوجد بها مبني للتجارة الدولية على مستوى أوسع وكذلك أحد المباني الضخمة لعرض الأفلام الدولية والمؤتمرات الدولية.

أنشئت تسالونيكي حوالي سنة ٣١٥ قبل الميلاد بأمر من الملك كاسندر Cassander ملك مقدونية بالقرب من مدينة أخرى اسمها ثرما Therma في موقع يحيطها فيها حوالي ٢٦ قرية أخرى وأطلق على المدينة اسم زوجته تسالونيك أخت الاسكندر الأكبر. وبعد سقوط دولة مقدونية سنة ١٦٨ قبل الميلاد اصبحت تسالونيكا مدينة رومانية وتدريجيا أصبحت من أهم المدن التجارية وسبيل المواصلات الاقتصادية بين أوروبا وأسيا ولهذا اختارتها الامبراطورية الرومانية لتكون أحدى العواصم الأربعة في أقليم ماسيدونيا. استمر الأزدهار الاقتصادي للمدينة حتى القرن الثاني عشر. في ذلك الوقت امتدت الامبراطورية البيزنطية في الشمال



واصبح هناك العديد من الطرق التجارية وفي سنة ١٢٠٤ ستولى الصليبيون في الحملة الرابعة على مدينة القسطنطينية وباعوا مدينة تسالونيكي إلى مملكة فينسيا سنة ١٤٢٣ وظلت فينسيا محتفظة بمتلكاتها حتى استولى العثمانيون على المدينة سنة ١٤٣٠ ميلادية. تحت الحكم العثماني إزداد عدد المسلمين واليهود في المدينة. وفي سنة ١٤٧٨ كان في المدينة حوالي ٤٣٢٠ مسلما. في حين أن عدد اليونان الأرثوذكس كان لا يزيد عن ستة آلاف شخص. قبلت المدينة حوالي خمسة عشر ألف يهودى طردوا من إسبانيا. كانت هذه خطة عثمانية حتى يضمنوا أن اليونان سوف لا تزيد أعدادهم ويستولوا على المدينة. بقيت تسالونيكي أكبر مدينة يهودية في العالم لمدة قرنين من الزمان ولهذا كان يطلق عليها اسم «أم إسرائيل».



The Statue of Alexander the Great (Alexander III of Macedon)

وفي سنة ١٨٧٠ ظل عدد سكان المدينة يتزايد حتى بلغ في سنة ١٩١٧ سكان المدينة إلى ١٣٥,٠٠٠ نسمة.

وبعد أن أعلنت الحرب البلقانية سلم الجيش العثماني مدينة سالونيكا لليونان بدون مقاومة. وفي أثناء الحرب العالمية الأولي سنة ١٩١٥ هبطت قوات الحلفاء على أرض تسالونيكي احتماء من الجيوش الألمانية. أسس الحلفاء حكومة مؤقتة في المدينة وتقدمت حتى أستولت على شمال اليونان وبحر إيجه. ولكن بطريقة غير مقصودة حدثت عدة انفجارات في قوات الجيش الفرنسي ومن ثم هاجمت القوات الألمانية من جهات متعددة وحطمت المدينة واستعلت النيران بشكل مروع حتى أصبح هناك أكثر من ٧٢ ألف شخص بدون منازل ووقعت المدينة أسيرة في أيدى الألمان الذين ظلوا يحتلون المدينة حتى أكتوبر سنة ١٩٤٤. وفي مواجهة القوات الألمانية استطاع اليهود أن يهربوا من كل المنطقة وأما من بقي فقد وقع فريسة للقوات الألمانية. وبعد الحرب أعيد بناء المدينة تدريجيا وعادت المدينة إلى شكلها كعروس جميلة.

الفصل السابع

دمشق

ذكر اسم دمشق لأول مرة في التاريخ في القرن الخامس عشر قبل الميلاد عندما استولى عليها تحتمس الثالث. وبحسب العهد القديم كانت هذه المدينة عاصمة للدولة الآرامية في القرن الحادى عشر قبل الميلاد. وذكر العهد القديم أيضا أنه في القرن العاشر قبل الميلاد حدثت حروب كثيرة بين أهل هذه المدينة ودول أخرى من بينها العبرانيين والأشوريين. واخيرا في سنة ٧٣٢ قبل الميلاد استطاع تغلياط بيلاصر الثاني ملك اليهودية- أخاز Achaz أن يستولى عليها عقب سقوط عاصمة الدولة الأشورية نينومي. وقبيل ذلك كان ملك دمشق قتل وتحطمت سطوته من بابيلون.

وفي سنة ٣٣٢ قبل الميلاد استطاع أحد قواد الاسكندر الأكبر الاستيلاء عليها وطرد القوات الفارسية واستولت عليها قوات الدولة المقدونية. وفي سنة ٦٦ استولى عليها امبراطور الدولة الرومانية بومبي Pompei وأصبحت جزءا من الدولة السورية الرومانية.

وفي هذه الفترة بعد مجئ السيد المسيح له المجد كان شاول من مواليد طرسوس يعيش في أورشليم وعلى صلة قوية مع رؤساء الكهنة واليهود فاختاروه ليذهب إلى دمشق ليأسر المسيحيين ويجلبهم إلى أورشليم للمحاكمة. وفي الطريق إلى دمشق . حدثت

له الرؤيا التي جلبته للإيمان. عندما ظهر له النور وأرشده – بعد أن فقد بصره – أن يتجه إلى دمشق وهناك أرشده آن يقابل حنانيا. وبعد الايمان والعماد بدأ يبشر مع حنانيا عن مقابلته للسيد المسيح الذي قال له «شاول شاول لماذا تضطهدني .. صعب عليك أن ترفس مناخس». كانت هذه هي بداية الخطوة نحو الايمان. وفي دمشق نال الايمان والثقة بما يرجى. وأخذ يعلم عن السيد المسيح رب المجد.

وفي عهد الدولة البيزنطية أصبحت دمشق قاعدة هامة للإشراف على الصحراء السورية ولكنها هوجمت هجوما عنيفا من الدولة الساسانية الفارسية. وبعد فترة وجيزة استولت عليها الجيوش العربية الإسلامية سنة ٦٣٥ وانتصر عليها خالد بن الوليد سنة ٦٣٦. ومعني ذلك تغيير شامل في ثقافتها وتحولت من مسيحية بيزنطية إلى إسلامية سامية. إزدهرت مدينة دمشق في القرون الأولى من الإسلام لأنها أصبحت عاصمة لامبراطورية امتدت أطرافها من المحيط الأطلسي إلى أواسط آسيا. كانت عاصمة للدولة الأموية. هذه الفترة الذهبية في تاريخها انتهت بقيام الدولة العباسية التي نقلت عاصمتها إلى بغداد. منذ ذلك الوقت أخذت دمشق تعاني من حكم أسر إسلامية مختلفة وتداول عدة حكام كان من أهمهم الدولة الفاطمية التي حكمت العالم الإسلامي من القاهرة. وعادت دمشق إلى فترة غنية أخرى بعد ما أخذها صلاح الدين الأيوبي من الدولة الفاطمية. وفي هذا العصر ناضل صلاح الدين ضد الصليبين وحقق عدة انتصارات خلدت اسم صلاح الدين في دمشق.

ومنذ عام ١٢٦٠ استولى المماليك على مصر واستطاعوا أن يردوا المغول على أعقابهم. وفي سنة ١٥١٦ استطاع العثمانيون

من تركيا الاستيلاء عليها وظلوا في الحكم حتى قيام الحرب العالمية الأولي واستطاعت قوات الحلفاء من تحرير دمشق عام ١٩١٨ ميلادية بقيادة قائد عربي يعمل تحت إشراف الجنرال اللنبي. تكون المجلس النيابي السوري سنة ١٩١٩ تحت رئاسة الأمير فيصل الذي جاء من الحجاز أطلق عليه اسم سوريا سنة ١٩٢٠. وبعد سنة واحدة فرضت فرنسا السلطة على سوريا تحت أشراف هيئة الدول المتحدة. وحدثت عدة مقاومات وطنية كثيرة حتى أعلن استقلال سوريا في ١٦ سبتمبر ١٩٤١. ولكن السلطة الحقيقية بدأت في عام ١٩٤٦.

وفي سنة ١٩٥٨ أتحدت سوريا ومصر باسم الجمهورية العربية المتحدة (URA) ولكن هذا الاتحاد انتهي بسرعة سنة ١٩٦١ بعد أن استولى الجيش السوري على السلطة. وفي سنة ١٩٦٣ بدأت مرحلة جديدة بعد استيلاء حزب البعث العربي الاشتراكي على السلطة وأطلق عليه فيما بعد اسم مسيرة الثورة. ولا يزال حزب البعث في الحكم حتى هذه اللحظة.

وفي سنة ١٩٦٧ قامت الحرب بين العرب وإسرائيل وفي خلال ستة أيام استولت إسرائيل على شبه جزيرة سيناء وعلى الجانب الغربي من الأردن واقليم مرتفعات الجولان من سوريا.

وفي السنوات الأولي من حكم حزب البعث لم يكن الأمن مستتبا بسبب خلافات سياسية داخلية مما أدى إلى صعود حافظ الأسد إلى الحكم في مارس ١٩٧١ وفي سنة ١٩٧٣ حدثت حربا أخرى بين إسرائيل والدول العربية وفي هذه الحرب استردت مصر شبه جزيرة سينا من إسرائيل ولكن سوريا لم تستطع أن تسترد مرتفعات الجولان.

ومما يذكر أن دمشق الحالية يعيش فيها مليون ونصف شخص منهم ٧٥٪ من السنة المسلمين وبالمدينة أكثر من الفي مسجد للصلاة وأشهرهم جامع الأمية. يوجد بالمدينة أحياء مسيحية قليلة مثل باب توما وحى غساني والكسعة ومن أهم الكنائس كنيسة القديس بولس.

الفصل الثامن

روما

يعود تاريخ روما إلى أكثر من ٢٨٠٠ سنة منذ أخذ ينمو في مجرد قرية إيطالية صغيرة في القرن التاسع قبل الميلاد إلى أن أصبح مركز الحضارة في العالم تحكم الشرق الأوسط لعدة مئات من السنين وبداخلها مدينة أخرى هي الفاتيكان مركز الكاثوليكية في العالم.

وليس هناك ضرورة لأن نتتبع تاريخ روما في هذا الكتاب من تفصيلات طويلة ولكننا في اختصار شديد نعود بتاريخ روما بحسب التقليد القديم إلى أول حاكم ومؤسس لها رومولوس Romulus الذي تعود إليه تسمية المدينة روما. والاسم القديم يعود إلى اللغة اليونانية ومعناها «الشجاعة»«Rum» وعنها تطورت في اللغة القديمة Etrusean إلى كلمة روماح Romaeh وهكـذا أصبح الاسم روما.

كانت قرية زراعية صغيرة عند تلال بالاتين Palaline Hills قريبة من منبع نهر التيبر وكانت هناك قرية صغيرة أخرى مجاورة تتحدث نفس اللغة عند تلال كورنيال على الشاطئ الآخر لنهر التيبر تعاونت القريتان في التجارة وامتد نفوذهما الاقتصاديء إلى شواطئ البحر الأبيض ومنه تدريجيا إلى العالم بأسره.

وفي القرن الثامن قبل الميلاد استطاعت هذه القريتان اللتين يشملان مجموعة ترجع إلى الأصل السابيني Sabines ويتحدثان اللغة الإيطالية القديمة أن تكون لها صلات بالشمال الاترسكان والجنوب اليوناني من تطوير ثقافة رومانية التي أصبحت أساس الثقافة الأوروبية بما فيها نظام المصارعة في صورها المختلفة على الأخص إنسان بإنسان أو إنسان وحيوان التي استمرت مسيطرة على عقلية الرومان إلى العصور الكلاسيكية للامبراطورية الرومانية حيث كان الشعب يتمتع في الملاعب الكبرى بمنظر استشهاد المسيحيين أمام الحيوانات المفترسة أو من مصارعين آخرين وفي مرات قليلة منظرهم وهم يحترقون أحياء.

لا شك أنه عبر العصور جاءت أعداد مهولة من شعوب مختلفة تدريجيا وانضموا إلى الشعب الأصلي للمدينة ولكن اللغة الإيطالية هي التي سادت عليهم جميعا. لهذا لا نتعجب إذا رأينا إيطاليين بعيون زرقاء أو مسحة أفريقية. لم ينس الإيطاليون أن الفضل في تأسيس مدينتهم الملك روميوس وأخوه راموس ولا زالوا يحتفظون بهذين الاسمين على بعض أعلمهم الكلاسيكية.

وحوالي عام خمسمائة قبل الميلاد انضم إلى روما عدد من المدن المجاورة حتى يصبحوا قوة تستطيع أن تدافع عن نفسها أمام الغزوات المختلفة من الشمال إو من الجنوب واستطاعوا أن يستمروا في توسيع رقعة بلادهم حتى كونوا من جميع هذه الدويلات جمهورية واحدة أطلقوا عليها أولا اسم جمهورية إتروريا Etruria وعاصمتها روما. وأستطاعت هذه الجمهورية أن تصل إلى صلح نهائي مع دولة قرطاجنة وأن يكونوا علاقات تجارية بينهما في نهاية القرن السادس قبل الميلاد. هكذا تفرغت جمهورية

اترويا ان تواجه خصوماتها مع الدول المجاورة الأخرى وأن توسع ممتلكاتها في الشمال والجنوب.

وفي سنة ٣٨٧ قبل الميلاد تعرضت روما إلى حريق هائل دبر من أعدائها بزعامة برينوس Brennus الذي استطاع بذلك أن يغزو اتروريا وانضم إليه أعداء آخرون من الشمال إلا أن أتروريا تدريجيا بقيادة كاميلليوس Camillus أن يحرر دولته أتروريا وأن يواصل الاتساع في ممتلكات دولته شمالا حتى أنه في سنة ٢٩٠ قبل الميلاد كانت اتروريا تملك نصف شبه الجزيرة الايطالية كلها.

تزايد السكان في أوائل القرن الثاني قبل الميلاد بدرجة كبيرة بسبب الهجرة المتواصلة والحصول على أسرى عديدين ليعملوا في الزراعة. وفي ذلك الوقت عادت الحرب بين قرطاجنة وجمهورية اتروريا إلا أن الجمهورية الإيطالية انتصرت فيها هذه المرة بانتصارات ساحقة. وهذا الانتصار أدى أيضا إلى زيادة الهجرة السكانية. في ذلك الوقت أيضا كانت ساردينا وصقلية من ممتلكات اسبانيا ولكن السيطرة الحقيقية فيها كانت في يد الولايات اليونانية المستقلة. كانت روما تنظر بعين الاحترام والتقدير للحضارة اليونانية. وعندما بدأت الولايات اليونانية في الضعف تدريجيا بدأت تنظر أيضا إلى روما كحليف كبير يمكن أن يساعدها ولهذا دعت الرومان للتدخل في شئونهم في اليونان والجزر المجاورة. وهكذا اتجهت الجيوش الرومانية إلى هذه الجهات أكثر من مرة واستطاعت أن تضع حدا لاستقلال اليونان سنة ١٤٦ قبل الميلاد. وفي نفس السنة استطاع القائد الروماني كورنيليوس سيبيو أن يستولي على قرطاجنة نفسها وبهذا أصبحت ولاية رومانية. وفي

السنة التالية استمرت روما في حروبها ضد أسبانيا وفي جهة أخرى واستطاع كذلك القائد الروماني تيبريوس جريسهوس Tiberius Gracehus أن يضع قدمه على الأراضي الآسيوية. وبدأت روما تستخدم كلمة الامبراطورية الرومانية. وفي أوائل القرن الأول قبل الميلاد منحت روما كوسيلة لإغراء دول كثيرة الجنسية الرومانية لأبدئها إذا انضموا إليها. هكذا أصبحت كل إيطاليا الحالية رومانية الجنسية دون أي حرب أخرى. وأصبحت الجنسية الرومانية موضع فخر لأبناء هذه الدول وتحت حمايتها.

وفي سنة ٤٩ قبل الميلاد استطاع يوليوس قيصر الذي يطلق عليه اسم الفاتح الأكبر أن يوسع أملاك الامبراطورية من كل جانب. وبعد مقتله سنة ٤٤ قبل الميلاد استطاع أحد أعضاء مجلس الشيوخ الذين أشتركوا في مقتل يوليوس قيصر واسمه بروتوس أن يعلن تأسيس الامبراطورية على أسس سياسية جديدة كما أرسل أبن أخيه مارك أنطوني إلى الشرق الأوسط وكان متزوجا من أخت أكتافيوس. إلا أن أنطوني وقع في حب كيلوباترة ولهذا قام أوكتافيوس بغزو مصر للأنتقام من أنطوني. وبالفعل أصبحت مصر ولاية رومانية ومجرد مزرعة لتوريد الغلال إلى روما كما استولت القوات الرومانية على اليونان كلها وآسيا الصغري وبلاد الشام بأكملها.

تزايد سكان روما بكل هذه الانتصارات إلى أكثر من نصف مليون ساكن. ونظرا لحاجة روما إلى ما يزيد عن ثلث حاجتها من الغلال أصبحت مدينة الإسكندرية على الشواطئ المصرية من أهم موانئ العالم التجارية والصناعية وانتشرت فيها عبادة الأوثان الرومانية إلى جانب اليونانية والفرعونية. أصبحت مدينة

الإسكندرية كذلك من أعظم مراكز الثقافة الدولية ليس فقط من الغرب بل من الهند والدول الآسيوية الأخرى التي تتعامل مع روما.

وفي القرن الثاني الميلادي انتشر وباء الطاعون الأسود في العالم حتى أنه في عهد ماركوس أوريليوس كان هذا الوباء يقضى على أكثر من ألفي شخص يوميا في الامبراطورية الرومانية.

ونود أن نشير أنه على طوال القرون الثلاثة الأولي الميلادية كانت الأمبراطورية الرومانية تحاول جاهدة فرض عبادة آلهة الرومان وعلى الأخص بعد ظهور المسيحية. كانت الامبراطورية تفرض كل أنواع الاضطهادات والقسوة على المسيحيين في كل أطرافها ولم ينقض يوم دون أن تذوق الامبراطورية دماء بعض الشهداء المسيحيين. كان بعض هؤلاء لا ينتظرون إلى أن يأتيهم الموت بل كانوا يسعون إليه بأنفسهم واستمر هذا الوضع حتى قيام الدولة الرومانية البيزنطية وعاصمتها القسطنطينية التي قامت بحماية المسيحية في حدودها منذ عهد الامبراطور قسطنطين الأول. ومع ذلك استمرت روما الغربية تعبد الأوثان بدافع قوى من أعضاء مجلس الشيوخ (السناتور Senate). لم تتوقف التضحيات البشرية في ملاعب روما ولم يستطيع بابوات روما أن يعارضوا تقدمة هذه التضحيات.. كان البابوات أنفسهم معرضون لينالوا اكليل الشهادة في أي وقت. هكذا أصبحت روما في تدهور مستمر في حضارتها وسطوتها واستمر إنشاء الكنائس رغم ذلك كما أحرقت بعض التماثيل الوثنية. ثورة داخلية وصراع مستمر بين أفراد الشعب منذ مقتل القديس بطرس وتلاه القديس بولس. واستطاع المسيحيون في أحيان كثيرة أن يستولوا على المعابد

الوثنية القديمة وحولوها إلى كنائس مسيحية ومع ازدياد قوة الثورة الروحية استولى الشعب على معبد رومولوس وروموس وحولوه إلى بازيليكا باسم الشهدين دميان وكوزماس. وأخيرا استولي المسيحيون حتى على معبد البانثيون وحولوه إلى كنيسة الشهداء.

وفي سنة ٤٨٠ ميلادية قتل آخر امبراطور في روما الغربية واسمه يوليوس نيباسرليوس نيبوس Julius Nepos وأعلن الدكتاتور أودواسر Odoacer انضمام روما إلى حكم الامبراطورية البيزنطية تحت حكم الامبراطور زينو Zeno وبهذا تم الاتحاد بين طرفي الامبراطورية الرومانية الغربية والشرقية. أخذت عملية تكامل الاتحاد بضع سنوات حتى أصبح ذلك حقيقة رغم السناتورز وفي خلال هذه المدة قتل بعض الأباطرة الذين استمروا يحكمون الغرب من مدينة رافينا Revenna كما قضى على بعض السناتورز المعارضون للاتحاد . استمر الوضع في صراع حتى أستطاع القائد البيزنطي بليزاريوس Belisarius أن يستولى على روما سنة ٥٤٩ ثم أعقبه عدد من القواد لتدعيم سلطة الامبراطورية البيزنطية .

بعد هذه الفترة أصبح بابا روما أحد الزعماء البارزين من الناحية الدينية والسياسية في الامبراطورية البيزنطية وانتهت فترة الاضطهادات الدينية ضد المسيحيين إلى وقت. وبالتدريج أستطاعت الإدارة الكنسية الكاثوليكية أن تمتص السلطة في روما ذاتها وأصبحت روما جزءا من الكنيسة. كان ملك روما لومبارد يستشير إن لم يأخذ تعلمياته من الكنيسة وحكم روما على وفاق مع الكنيسة من عام ٥٩١ إلى عام ٦١٦ م. وبالتالي في القسطينطينية كان البابا يونيفاس الثالث هو السيد الحقيقي للإمبراطورية البيزنطية

الشرقية. كان هو رأس الكنيسة ورأس الشعب بما فيهم الامبراطور.
وفي روما اضطر الملك أن يعطي العاموس فوكاس Phocas للكنيسة
حتى يضمن أنه سوف لايتحطم بفعل الثورة الدينية. وفي سنة
٦٦٣ أصدر امبراطور بيزنطة أمرا عاما بخلع جميع الأجزاء
الحديدية من جميع المباني وأرسالها إلى القسطنطينية حتى يمكن
عمل أسلحة للجيش. ولما رفض بابا روما ذلك الأمر أرسل قوات
من رافينا إلى روما ليهدد بابا روما بأن الحرب على وشك أن
تنزع السلطة من البابوية وبالفعل استطاع القائد يوتيخيوس
Eutychius أن يستولي على روما ويستولي على ممتلكات البابوية
في صقلية وكامبريا ومع ذلك استحدم البابا غريغوريوس الثالث
كل دبلوماسية ممكنة ليتحاشي المواجهة العسكرية بين الكنيسة
والامبراطورية البيزنطية. ولكن المواجهة كان لابد وأن تحدث تشبث
البابوات أن ما يربطونه على الأرض يكون مربوطا في السماء في
حين تمسك الأباطرة أن البابوات كغيرهم من أبناء الشعب بنيغي
أن يطيعوا النص الإلهي أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله.
هكذا كان هناك صراع على السلطة وصمم الامبراطور على معاقبة
البابا الروماني رغم أنه تحت حماية الأسوار العالية التي تحيط
بمدينة الفاتيكان. كان البابا غريغوري الثالث أول بابا في التاريخ
يطلب مساعدة عسكرية من دول الشمال الفرانكية ضد أمبراطور
بيزنطة وكانت دول الشمال تحت رئاسة شارل مارتل Martel
سنة ٧٣٩ م. وكان الحاكم التالي لدول الشمال أكثر جراءة واسمه
آيستولف Aistulf الذي أرسل جيوشه فاحتلت رافينا وولاية فرارا
Ferrara. وأصبحت روما هي الضحية التالية. ذهب البابا ستيفان
الثاني إلى فرنسا سنة ٧٥٤ لتتويج بيبين Pippin ملكا على فرنسا.
وقرر الملك والبابا أعادة الاستيلاء على جبال الألب وانتصروا

على ايسترولف في موقعه بافيا. ولكن بعد عودة الملك (Peppin) بيبين لم يحفظ قائد الشمال كلمته بل تقدم مباشرة واستولى على روما سنة ٧٥٦ م.

وحاصر أسوار الفاتيكان. إلا أن القائد الشمالي انسحب تلقائيا إلى الشمال عندما علم أن ملك فرنسا بدأ التحرك نحو أيطاليا. وأصدر ملك فرنسا قرارا باعادة جميع أملاك البابوية إليها. وفي سنة ٧٧١ م عمل قائد الشمال مؤامرة بأن تكون هناك زيارة للحج للفاتيكان وعندئذ يستطيع القبض على البابا نفسه وعمل اتفاقية تعاون في ذلك مع بعض اعوانه في داخل روما ذاتها. هذه المؤامرة فشلت وفي نفس الوقت تولى البابوية البابا هادريان الأول. طلب هذا البابا معاونة شارلمان ضد ديزيدريوس Desiderius الذي انهزم أخيرا سنة ٧٧٣ وبذلك انتهــي حكم الملك لومبارد كملك لايطاليا أكبر معون للامبراطورية البيزنطية. من هذه اللحظة أصبح اسم روما الامبراطورية الرومانية المقدسة وأعلنها البابا ليو الثالث بهذا الاسم وفي أثناء الاحتفالات هاجم أثنان ممن كانوا يكرهون ضعف البابوية هاجموا البابا وأصابوه بإصابات خطيرة.

وفي سنة ٨٠٠ ميلادية جاء ملك فرنسا على رأس جيش كبير ويصحبه عدد من الأساقفة الفرنسيين ودخلوا روما وهددوا بعقوبة بالغة على البابا ليو الثالث إذا بقي على رأس الكنيسة. إلا أن أساقفة البابوية أعلنوا شرعية بقاء البابا ليو الثالث. ودعا البابا ملك فرنسا شارلمان إلى بازيليكا سان بيتر وقام بتتويجه كأمبراطور للأمبراطورية الرومانية المقدسة.

هذا التصرف غضب امبراطور بيزنطة في القسطنطينية وخلق هذا الموقف منافسه عنيدة بين بيزنطة وروما وحدثت انقسامات

شديدة في جميع نواحي الدول المسيحية الغربية.

أصبحت روما ذاتها موطئ انقسامات وخصومات شديدة ومطالبات بإعادة انتخاب أو أختيار حاكم لروما يوافق عليه جميع الأطراف. كانت هناك ثورات في نفس الوقت ضد الكنيسة والبابوية. آدت هذه الثورات إلى تغيير أسم الامبراطورية الرومانية المقدسة إلى اسم دولة روما وبدأ الكثيرون من الشعب والاستقراطيون في التدخل في الشئون الكنيسة بما في ذلك الناحية اللاهوتية إلا أن هذه الثورات أخضعت عام ١١٥٥ ميلادية. وتكونت حكومة مدنية تحت أشراف مجلس سناتورز. وبعد عدة تطورات وتغييرات في النظام بدأت الحالة تستقر تدريجيا وقام بالحكم في روما حكومة ممثلة للشعب واعترفت بها البابوية في عهد البابا كلمنت الثالث.

وفي سنة ١٢٠٤ عادت الثورة من جديد بسبب خلافات بين البابا والأسرة الحاكمة في روما ومن بينها أسرة ملك نابلي وملك صقلية. استمرت الحالة في صراعات مستمرة لم تشعر في خلالها روما بأي فترة استقرار طويلة وكان مقر السلطة البابوية تحت تهديدات مستمرة وفي سنة ١٤٢ استطاع دوق ميلانو أن يصل إلى بعض اتفاقات هامة تؤدي إلى السلام في روما وكذلك مع بعض الولايات المجاورة على الأخص مع فلورنسا وكولونا وتيفولي وغيرها. ولكن رغم ذلك لم يستمر السلام والهدوء طويلا في أي فترة حتى جاء عصر النهضة.

في عام ١٤٤٩ استطاع الامبراطور نيكولاس الخامس أن يجتذب عوامل النهضة الاجتماعية والعلمية وأن يجتذب إلى روما أعدادا كبيرة من المهاجرين وأن يسود السلام وأكد نيكولاس

سلطة البابوية من الناحية الروحية وأن الامبراطور ليس من حقه التدخل في شئون الكنيسة أو الاجراءات الدينية وفي نفس الوقت هناك فاصل بين الحكومة والكنيسة فليس من حق البابا التدخل في الشئون السياسية.

نال هذا القرار أعجابا وموافقة من الجميع وأصبح ما لقيصر لقيصر وما لله لله منذ ذلك الوقت واعترفت الكنيسة بأن القاعدة ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا في السماء يختص بالشئون الروحية الكنسية وليس خاصا بالشئون الاقتصادية أو السياسية.

الفصل التاسع

سلوكيا

هي الميناء الذي بدأ منه القديس بولس والقديس برنابا والقديس مرقس في رحلتهم الأولى للبشارة سنة ٤٩ ميلادية (أعمال الرسل ١٣ آية ٤) ولا تزال الميناء القديمة موجودة بالرغم أنها دائما تتسبب في صعوبات فنية وتستلزم اصلاحات مستمرة. تقع هذه المدينة والميناء على الجانب الغربي من نهر التيجر في قلب العراق الحديثة Mesopotemia . وكانت في ذلك تغص بالثقافات اليونانية والرومانية ويواجهها على الجانب الشرقي من نهر الفرات المدينة الصغيرة أوبيس Opis.

أنشئت هذه المدينة حوالى عام ٣٠٥ قبل الميلاد. ويذكر التاريخ أنه كان يحكمها أرادشير من (٢٢٦-٢٤١) وكانت المدينة في ذلك الوقت مركزا هاما للتجارة اليونانية ومركزا للمواصلات البحرية في خلال القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد. وذكر المؤرخ فوليبيوس Pholybius أن مؤتمر سلوكيا كان منعقدا في المدينة التي كانت تعتبر مركز مقدونية الهام كما كانت موطنا للكثيرين من أهل بابيلونيا وفي سنة ١٤١ قبل الميلاد استولى عليها ماتريداتس Mathridales وجعل المدينة الثقافة اليونانية وأصبحت أكبر مدينة في العالم بعد روما والإسكندرية وكان يقطنها في ذلك الوقت ستمائة ألف شخص وكان يحكمها مجلس الشيوخ (Senate) المكون من ثلاثمائة شخص وفي سنة ٥٥ قبل الميلاد

حدثت موقعة هامة بين الرومان واليونان من ناحية وبين مملكة سوريا ونجحت الأميرة في الأستيلاء على المدينة. وفي سنة ٤١ ق. م. خدثت المذبحة المشهورة التى قتل فيها حوالى خمسة آلاف يهودى من مدينة بابيلونيا.

وفي سنة ١١٧ قبل الميلاد أحرقت مدينة سلوكيا بأكملها بأمر من الامبراطور الروماني تراجان Trajan عندما استولى في نفس الوقت على ميزوبويكيا Mesopotamia. وفي عهد الامبراطور هادريان الذي خلفه أعاد بناء المدينة على النمط الروماني الغربي ولكن القائد كاشياس أفيديوس أعادها إلى حكم الامبراطورية البارثبانية. ولكن بعد ذلك حطمتها القوات الفارسية. وأعيد اكتشاف آثار المدينة فقط عام ١٩٢٠ ميلادية.

الفصل العاشر

مدينة سميرنا

المدينة القديمة سميرنا هي التي أصبح أسمها حاليا «أزمير» في تركيا. أنشأها سكان أيونيا في اليونان على شاطئ الغربي في أناطوليا وأنشئوا فيها ميناء وله حماية خاصة للدفاع عنها من هجمات سكان جرائر البحر الأبيض. ويقول المؤرخون أنها ظلت على طابعها الكلاسيكي حتى اليوم.

نقلها الإسكندر الأكبر بعض أميال على شاطئ الخليج لزيادة حمايتها من الهجمات وأعطاها طابعا أغريقيا ممتازا في خصائصه. وفي سنة ١٧٨ حدث فيها زلزال شديد ولكن أعيد تكوينها وأطلق عليها اسم أزمير وأنشئ فيها متحف بحرى كبير.

ونود أن نشير إلى أن الاسم الأصلي للمدينة سميرنا متأثر باسم حي كبير في مدينة أفسس معروفا باسم «ميرنان Myrna» ويثبت التاريخ أن المدينة كانت موجودة في صورة مبسطة مبدئيا قبل احتلالها من الاغريق. ولهذا كانت سميرنا إحدى المدن القديمة المستقلة في الاتحاد الأيوني وذكر أسمها على أنها كانت موطئ ميلاد هوميروس. كان المهاجرون يتواردون تدريجيا إلى وادى سميرنا إلى أن أصبحت المدينة لها قوة الثورة فأعلن استقلالها كعضو في الاتحاد الأيوني. وتعتبر الولاية الثالثة عشرة في هذا الاتحاد. ومن هذه الولاية نشأ الملاكم «أوناماستوس Onomastos الذي نال بطولة إوليمبيا سنة ٦٨٨ قبل الميلاد».

كان موقع مدينة سميرنا الهام ليس فقط لأنها على شاطئ البحر الأبيض بل أيضا على قمة نهر «هرنوس» يساعد التجارة على الوصول إلى داخل أناضوليا. ولهذا كانت هناك أهمية تجارية خاصة لمدينة سميرنا. لأن المراكب كانت تستطيع أن تنقل تجارتها إلى المناطق الجبلية الداخلية. كان أسم النهر ميليس يلعب دورا هاما في الأدب اليوناني مما أدى إلى عبادته والوصول بالعبادات اليونانية وآلهتهم إلى داخل آسيا الصغرى كما جعل العملات المالية اليونانية هي المتداولة في كل هذا الأقليم. ومن أشهر القطع الشعرية الهومرية ما كتب عن ذلك النهر، كما انشئت عدة معابد لهومر وما جاء في أشعاره. لقد فاضت أشعار هومر بوصف المياه المتدفقة في نهر ميليس وتمر من الجبال بكهوف ومغارات لها أوصاف رائعة. ونجد في سميرنا معبدا كبيرا للإلهة «أثينا» قائما منذ القرن السابع قبل الميلاد.

وعندما حاول ملوك «ميرناماد» أن يسيطروا على سميرنا من سنة (٦٨٧إلى ٦٥٢) أنهزموا عدة مرات على شواطئ ذلك النهر مما يبين كيف كانت سميرنا ولاية قوية. إلا أن المدينة هزمت بعد ذلك عندما هاجمها «آلياتس Alyattes» ٦٠٩–٥٦٠ . بعد أن استولى عليها غير طابعها اليوناني وأنشأ منها مدينة لها طابع سياسي مختلف.

أستمر ذلك النظام حتى قيام الاسكندر الأكبر الذى أرسل قائده انتيجونوس Antignus وأستولى عليها وأعاد النظام اليوناني بما في ذلك بناء أكروبوليس يشبه ذلك الموجود في أثينا وأقيم تماثيل لتتويج المدينة كأعظم مدينة على الخليج وهكذا أصبحت تحمل اسم إزمير وامتدت المدينة لتشمل طوابق متوالية على جوانب الجبال المجاورة.. ومع ذلك ظل اسم سميرنا يستخدم لمدة طويلة

وهو الاسم الذي استخدمه القديس بولس الرسول. ذلك أنه بعد أن استولى الرومان على أسيا الصغرى كلها أعادوا استخدام اسم سميرنا بالإضافة إلى أسماء المدن افسس وبرجاموم Pergamum على أنها المدن الثلاث التي أعتبروها نجوما ساطعة في سماء الامبراطورية الرومانية في آسيا الصغرى.

وأشار هنا المؤرخ بوليكراتس Polycrates إلى أسماء أساقفة سميرنا بما فيهم بوليكارب أسقف سميرنا كما ذكر أسماء اساقفة بعض المدن المجاورة. ذكر كذلك أسماء أساقفة ميليتو Melito في مقاطعة سارديس وجاء في تأريخه أن هذه الأسقفيات المسيحية كانت ترحب بأى يهودي يعتنق المسيحية وسوف يتلقى مساعدة كاملة من كل المسيحيين وكل تعليم لازم خاص بالعبادة وسوف يحترم المسيحيون مناسبات الأعياد اليهودية مثل مناسبة عيد العبور إلى سيناء. سوف يتسلم المسيحيون الجدد من أصل يهودي كل التعاليم الأرثوذكسية السليمة كما تسلموها من التلاميذ الأوائل عن السيد المسيح له المجد.

وذكر المؤرخ ايرانيوس أن بوليكارب اسقف سميرنا لم يمتص رحيق المسيحية فقط من الرسل بل تعلم أيضا من كثيرين من الذين قابلوا السيد المسيح شخصيا وسمعوا منه. وقابل بوليكارب كذلك الرسل الذين قابلوا وعاشوا مع السيد المسيح قبل هجرتهم إلى آسيا الصغرى وسميرنا. وقال ايرانيوس إن بوليكارب استطاع أن ينقل هذا التراث المسيحي الذي حصل عليه إلى من أعقبوه لهذا كله ذكر المؤرخ ترتوليان أن كنيسة سميرنا هي أحدى العمد الرصينة التى استطاعت أن تحافظ على المسيحية كما أرادها رب المجد.. إنها كنيسة رسولية سليمة من أي هرطقة ونقلت المسيحية كما تسلموها من القديس يوحنا والقديس بطرس.

استمر هذا الوضع النقي في العقيدة حتى الوقت الذي استطاع فيه السلاجقة من الاستيلاء على سميرنا بقيادة شقا باشا سنة ١٢٢٢ . وذكر ابن بطوطة المؤرخ العربي أنه لما زار سميرنا وجدها عبارة عن أنقاض وأنقاض من سنة ١٣٣٣ بعد الفتح بقيادة أيادين. وبالتدريج عادت سميرنا إلى أن تكون ميناء الإمارة. وبعد قليل جاء فرسان القديس يوحنا وأتخذوا هذه المهنة مركزا لهم ولكنهم لم يستطيعوا أن يستولوا على القلعة. وفي سنة ١٤٠٢ هاجم المدينة تيمورلنك وذبح كل سكانها . لم تدم سلطة المغول طويلا في سميرنا لأن الأتراك استولوا على المدينة وأعلنوا سلطة الدولة العثمانية. استمر حكم العثمانيين للمدينة مع استثناء المدة ١٩١٩-١٩٢٢ . في هذه السنوات الثلاث كانت المدينة - سميرنا- تحت حكم جيش اليونان ثم أنسحبوا بعد ذلك. وفي خلال هذه الحرب بين اليونان والأتراك تحطم معظم مباني المدينة. ولكن الأركيولوجيون الألمان نومان وميلتز Miltmer وكانتار أعادوا اكتشاف جزء كبير من سنة ١٩٩٦ واستطاعوا أن يكتشفوا عدة أعمدة رخامية وآثار مباني محطمة. ولكن المدينة تدريجيا أقيمت في صورة جديدة في العصر الحديث.

الفصل الحادي عشر

صور وصيدا

جاء ذكرهما في سفر لوقا البشير في الاصحاح العاشر الآية ١٣ «لأنه لو صنعت في صور وصيدا القوات المصنوعة فيكفي لتابتا قديما جالستين في المسوح والرماد».

مدينة صيدا حاليا هي ثالث أكبر مدينة في لبنان وموقعها هو في جنوب لبنان على شاطئ البحر المتوسط حوالي أربعين كيلو مترا (٢٥ميلا) شمال صور (Tyre) حاليا وأربعين كيلو مترا جنوب العاصمة بيروت. ويقطن فيها حاليا حوالي مائتي ألف معظمهم من المسلمين السنة وقلة بسيطة من اليونان الكاثوليك.

مدينة صيدا كانت مدينة مسكونة منذ حوالي أربعة آلاف سنة قبل الميلاد وربما تعود إلى العصر الحجري الحديث (٤٠٠٠-٦٠٠٠ ق.م) وكانت تعتبر من الناحية التاريخية من أهم مدن فينيقيا وربما من أقدمهم. وتعتبر حاليا من أهم المدن التجارية على البحر الأبيض المتوسط. كانت هذه المدينة مشهورة كمدينة لصيد الاسماك ولصناعة الزجاج وأنواع من الصباغة. في هذه المدينة أتجهت مجموعة من سكانها تاريخيا إلى موقع صور وأنشئوا المدينة. ولم تلبث مدينة صور تجاريا وأن تنافس مع صيدا وتدعي كل منهما أنها أصبحت العاصمة الكبرى في عصر امبراطورية فينيقيا وعاصمة صناعة الزجاج التي هي أصل أكبر تخصصات صيدا. ولم تلبث أن اصبحت كلا منها تقوم بتوريد انتاجاتها الصناعية

للعالم كله في ذلك العصر وكان لكل منها أسطولا بحريا للتجارة ولكل منهما انتاجات فنية تستخدمها قصور الملوك والأمراء.

وفي سنة ١٨٥٥ م أكتشف في صيدا مقبرة الملك «اشمون عازر الثاني Eshmun Azara» ملك فينيقيا وعلى غطاء الصندوق كتابات باللغة الفينيقية القديمة ترمز إلى أن هذا هو ملك الفينيقيين ربما في القرن الخامس قبل الميلاد وكانت أمه كاهنة فينيقية للإلهه «أشتار Ashtar» المعبودة في صيدا. واسم هذه الآلهه كان مذكورا في عدة مكتشفات دينية في المنطقة.

وفي السنوات السابقة لمجئ السيد المسيح له المجد حدثت عدة غزوات لهذه المدينة ومن بينها حرب الأشوريين وغزوات البابيلونيان وفتوحات مصر بالجيوش المصرية في عهد تحتمس الثالث وغزوات اليونان وأخيرا جيوش روما – وفي عصر هيرودوس الكبير يقال إن السيد المسيح زار مدينة صيدا. وبعد ذلك تحطمت المدينة كالنبوءة وأعيد أنشاؤها في عصر العرب وبعد ذلك العثمانيين الأتراك الذين استولوا عليها كذلك. لا شك أن صيدا تحملت هذه الحروب التي أدت إلى خرابها وكان من بينها هجمات القوات الفارسية أكثر من مرة كذلك قبل المسيح. واستولى عليها الفرس حتى استولى عليها الإسكندر الأكبر سنة ٣٣٣ ق. م واستمرت فيها الثقافة اليونانية بعد ذلك وفي عهد اليونان والرومان من بعدهم كانت المدينة مركزا للمنافسات الرياضية والمسرحية والأدبية والحرية من كل نوع. وبعد استيلاء الرومان استمرت مدينة صيدا في إنتاج عملاتها الفضية وبناء مسارحها وتمثيلياتها. إلى أن أستولى عليها العرب سنة ٦٣٦ ميلادية.

وفي عام ١١١٠ م ابتلت المدينة في الحروب الصليبية الأولي وبعد ذلك أصبحت أحدى مدن السيادة التابعة لسلطة أورشليم.

واستمرت الحروب الصليبية المتوالية في الاستيلاء عليها تم فقدها للعرب عدة مرات وتحطمت عدة مرات وكان آخر وأشر مصائبها بعدما استولت عليها قوات المغول Mongols ولا تزال آثار أسوارها الأولي حتى الآن.

وفي أثناء الحروب الإسرائيلية تعرضت المدينة عدة مرات للقذف بالقنابل وتحملت خسائر بشرية بالغة.

ومما يذكر أنه بعد أستيلاء الأتراك العثمانيين عليها استعادت المدينة بعض شهرتها القديمة في الناحية التجارية في القرن السابع العشر الميلادي. وبعد الحرب العالمية الأولي أصبحت جزءا من الوصايا الفرنسية على لبنان- وفي الحرب العالمية الثانية تم الاستيلاء عليها بالقوات البريطانية التي كانت تحارب ضد قوات فيشى Vichy الفرنسية وبعد الحرب أصبحت جزءا من لبنان المستقلة.

وبعد نكسة سنة ١٩٤٨- كما يطلقون عليها - فر عدد من الفلسطينيين إلى صيدا والمدن اللبنانية الأخرى وسكن عدد كبير منهم في مخيمات كبيرة أقيمت في معسكر «خيمة العين الحلوة» ومخيمات «سياميا». في المبدأ كانت هذه المخيمات مكونه من صفوف من الخيام ولكن بالتدريج أخذوا يبنون فيها منازل واستمرت هذه المخيمات كمعسكرات اللاجئين. وكان لها وضع سياسي وقانوني خاص بها وتسببت في كثير من المتاعب للمدنيين الأصليين وللحكومة اللبنانية ذاتها. وعلى سبيل العلم.. في سنة ١٩٠٠ كان مجموع سكان صيدا عشرة آلاف وفي سنة ٢٠٠٠ بلغ عدد سكانها مائتي الف بالرغم من أنها محدودة في مساحتها وفي الخضروات والانتاج الزراعي اللازم للحياة فيها مثل القمح والفواكه والخضروات. لا يزال عدد من السكان يمارس صناعة صيد

الأسماك إلا أن عدد قوارب الصيد محدودة لأسباب سياسية وأنشيء بالمدينة مصنع للزيوت وتنقية البترول وملعب كبير لكرة القدم. ولا يزال بالمدينة على شاطئ البحر قلعة الصليبيين وأحد المتاحف ولا يزال قائما خان الافرنج (أي خان الأجانب الذي بناه الأمير فخر الدين في القرن السابع عشر). ويوجد بالمدينة أيضا حتى الآن قصر الدبان الذي كان يستخدم للسكن في عام ١٧٢١ الذي على وشك أن يتم تعديله حاليا إلى متحف آخر لتاريخ صيدا. ولا يزال السوق القديم قائما بصورته التاريخية ويستخدم كمكان للتسويق من كل نوع ويقرب منه قصر لويس الذي تغير اسمه وأصبح قصر المعز لدين الله.

ولمدينة صور أهمية دينية تاريخية إذ اكتسبت أسمها الأول منذ وقت الحفيد الأول لنوح (سفر التكوين الاصحاح العاشر آية ١٥) «وكنعان وليد صيدون».

– كانت هي المركز الأولي للفينقيين على شاطئ كنعان وبعد ذلك اكتسبت شهرة تجارية واسعة.

– وجاء في سفر يشوع اصحاج ١١ آية ٨ «فدفعهم الرب بيد إسرائيل فضربوهم وطردوهم إلى صيدون العظيمة».

– أصبحت صيدون هي أهم مدينة صور انظر (سفر القضاة). ومارست صيدون متاعب كثيرة بحسب ما جاء في سفر القضاة ١:٣١.

– وقد دخل سليمان الحكيم في علاقات زوجية وبهذا تكونت علاقات ودية بين إسرائيل وصيدون.

– إيزابيل المذكورة في السفر الأول للملوك ٢٣ كانت من صيدا.

- كانت مدينة صيدا مشهورة في صناعاتها وفنونها وقد جاء ذكر ذلك في سفر حزقيال الاصحاح ٢٧ آية ٨.

- أشار إليها عدد من أنبياء العهد القديم ونذكر منهم حزقيال ٢٣:٢ /١٢/٤ . وأرميا ٢٥:٢٢ و٢٧ وغيرهما كثيرون.

- زار إيليا النبي مدينة صيدون (السفر الأول ملوك ١٧ آية ٩-٢٤) وقد جاء ذكر ذلك أيضا في سفر لوقا البشير في الاصحاح الرابع آية ٢٦ (ولم يرسل أيليا إلى واحدة منها إلا إلى امرأة أرملة إلى صرفة صيداء».

- زار السيد المسيح شواطئ صور وصيدا كما جاء في سفر متي البشير آية ٢١ (ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحى صور وصيدا). وذكر ذلك مرقس الرسول أيضا في الاصحاح السابع آية ٢٤ (ثم قام من هناك ومضى إلى تخوم صور وصيدا).

– وجاء ذكر صيدا مرة أخرى كآخر ميناء رست فيها مركب بولس الرسول بعد قيصيرية ومن صيدا أقلع مباشرة في طريقه إلى روما (أعمال الرسل اصحاح ٢٧ آية ٣/٤) «وفي اليوم الآخر أقبلنا إلى صيدا».

هذا هو التاريخ الديني لمدينة صيداء الحافل ومنه يتبين أهمية هذه المدينة في التاريخ كانت مدينتا صور وصيدا موضع الأزدهار أحيانا وتحققت فيهما لعنة السيد المسيح في أوقات أخرى بشكل لا ينساه التاريخ.

الفصل الثاني عشر

طرسوس

هذه المدينة التي ولد فيها شاول

طرسوس أحدى المدن القديمة العظمي التي ذكرت في عهد سنحريب وسلماناصار. وقد ذكرتها الأساطير اليونانية التي فاخر بها اليونان القدماء منذ عهد ساردانابالوس Sardanaplus وجاء كذلك ذكرها في التلمود القديم. وفي سنة ٣٠١ قبل الميلاد سار فيها سيروس بجيوشه ضد بابيلونيا في الوقت الذي كان يحكمها الحاكم الفارسي سينيسيس Syennesis ملك فارس. كانت طرسبوس عندئذ تعتبر مدينة أغريقية. ويذكر التاريخ أن الاسكندر الأكبر كاد أن ينال حتفه غرقا عندما كان يستحم في هذه المدينة. كانت مدارس طرسوس تضارع المدارس اليونانية في أثينا والإسكندرية.

وبعد أن أنضمت المدينة إلى حكم الرومان في عهد سلوسيدس Seleucides أطلق على طرسوس أسم انطاكية كما أطلق عليها اسم امبراطور روما جوليوبوليس تملقا للامبراطور. إنها المدينة التي التقت فيها كليوباترا مع انطونيوس لأول مرة وعندئذ أصبحت هذه المدينة موقع الحفلات والأحياء وبنى فيها عدة أساطيل رومانية وأصبحت موقع الحاكم العام لكل أسيا الصغرى ولكن أعظم فخر لهذه المدينة أنها كانت موقع ميلاد شاول (أعمال الرسل اصحاح ٩ آية ١١ واصحاح ٢١ آية ٣٩) ولجأ إليها شاول بعد أن

أعتنق المسيحية وتأسست فيها أول جالية مسيحية كبيرة. أسم أول أسقف لها هو هيلينوس Bishop Helenus الذي ذكر أسمه في القرن الثالث الميلادي. وقد ذهب بولس عدة مرات إلى طرسوس (أنطاكية) على الأخص عندما حدثت الخلافات التي ذكرها المؤرخ يوسيبيوس في كتابه التاريخ الأكليريكي في الجزء الرابع والسادس وفي كتاب «الشرق المسيحي» في الجزء الثاني من صفحة ٨٦٩ إلى صفحة ٨٦٦. وذكر هذا الكتاب أسماء ٢٢ أسقفا من أساقفة الكنيسة هناك ومن بينهم الأسقف لوبوس Lupus الذي حضر مؤتمر أنقرة سنة ٣١٤م والأسقف ثيودوروس الذي حضر مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥م والأسقف هيلاديوس الذي حكم عليه في مؤتمر أفسس وأستأنف حكمه الامبراطور سنة ٤٣٢م وكذلك ذكر اسم البابا ديودوروس الذي كان معلما لنسطور واحد مؤسسى مذهبه.

ويذكر التاريخ الكنسى لمدينة طرسوس أيضا آنه منذ القرن السادس تولى حكم أسقفيتها «ايخوس الأوريجاني» كرئيس الأساقفة اليونانى وفي عهده قتل مئات ونالوا الشهادة ومن بينهم القديس بلا جيا Pelagia والقديس بونيفس Bonifsce والقديس مارنيوس Marinus والقديس ديوماديوس والقديس كيرلس والقديس جليتا وذلك كان في عهد الامبراطور مكسيموس والامبراطور جوليان.

استولى العرب على طرسوس في القرن السابع وبقوا فيه حتى عام ٩٦٥ ميلادية وخرجوا من المدينة بعد آن أعاد امبراطور بيزنطة نيقوفورس Nicephorus الاستيلاء عليها واصبحت جزءا من الامبراطورية البيزنطية وظل هذا الوضع حوالي قرن من الزمان حتى جاء الصليبيون واستولوا على المدينة من الاتراك سنة ١٠٩٧ وبعد ذلك أصبحت المدينة موضع نزاع بين الأرمن واليونان. ظل

الأرمن أسياد المدينة حتى عام ١٣٥٠ ميلادية حيث بيعت المدينة إلى المصريين. وبعد ذلك أصبحت طرسوس مدينة إسلامية حتى الآن. في الواقع كان بيع المدينة أجباريا لأن القائد شيد استولي عليها دون حرب.

لم يذكر أسم طرسوس في الإنجيل المقدس سوى خمس مرات وكلها بخصوص تاريخ القديس بولس الرسول.

ومما يذكر عن هذه المدينة حاليا أنها تابعة لتركيا والدين السائد باغلبية ساحقة هو الإسلام (٩٨٪) وعدد سكانها حاليا بحسب تعداد سنة ٢٠٠٠ هو ٢٠٥ر٣٤٨ ومساحتها ٢٢٤٠ كيلو متر مربع وكما ذكرنا يعود تاريخها إلى حوالى تسعة آلاف سنة. منذ أن استولى عليها لاسلاحقة الأتراك ظلت مدينة إسلامية وتغيرت جميع مظاهر المدينة وأضاف إلى هذا الطابع ما قام به عثمان بن سليمان سنة ١٥١٧ . وفي القرون الوسطى كتب عنها عدد من المؤرخين يمتدحون جمالها وكيف كان يحيطها أسوار ضخمة لحمايتها ولها خمية أبواب تحت حراسة مستديمة من ساعة إلى ساعة من تلك الأسوار التي كانت ترتفع دورين . أستولى العثمانيون على هذه المدينة سنة ١٨٤٢ بواسطة المماليك الذين أرسلهم إبراهيم باشا من مصر بن محمد علي. وبعد هزيمة محمد علي من القوات التركية والغربية عاد حكم المدينة إلى الأتراك وبنوا فيها عدة منازل شاهقة. ومنذ القرن التاسع عشر تدهورت حالة المدينة بسبب حالة إهمال الحكم التركى حتى عادت إلى الحياة في القرن العشرين تحت حكم كمال أتاتورك.

الفصل الثالث عشر

غلاطية

مدينة قديمة تقع في وسط أناضوليا – أسيا الصغرى – في تركيا الحديثة. أطلق عليها هذا الاسم بسبب قبائل المغول الذين زحفوا إلى هذه المدينة واسمهم الأصلي Gaule واسم الشخص منهم غلاطي أو غالي Galati وأصبح اسم المنطقة غلاطية. جاءوا لهذه المنطقة في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد. كانت أنقرة عاصمة تركيا حاليا أيضا عاصمة لهذه المنطقة وكان اسمها القديم «انقيرا Ancyra» هؤلاء المهاجرون من أصل كلتي أو سلتي Selts وزحفوا إلى هذه المنطقة تحت قيادة برينوس Brennus ومن بعده ليوناريوس Leonario عام ٢٧٠ قبل الميلاد. وقد حاول قائدهم بريتوس أن يغزو اليونان أيضا ولكنه فشل في غزواته سنة ٢٨١ ق. م فعادوا وهاجموا المنطقة الجنوبية من آسيا الصغري المعروفة باسم ماسيدونيا وقتلوا حاكم الجنوب بطليموس سيرانوس ولكن خليفته أنتيجوس أعاد تحرره منهم. وبعد ذلك بجيش يزيد على عشرة آلاف محارب جاءوا لمساعدتهم في شرق أسيا اتجهوا إلى شرق أوروبا واستولوا على مناطق شاسعة منها شمال اليونان وامتدوا إلى أواسط أوروبا ولكن ظل مركز رئاستهم في غلاطية وتعاقدوا مع اليونان على أن يكونوا أحدى الولايات المستقلة المتحدة معهم. ومع ذلك عادت الحروب بين قائد السلت أو المغول ضد اليونان أطالوس (عطا الله) ولكنه لم يستطيع

الاستيلاء على اليونان. واتجهت بعض قبائل السلت (المغول) إلى شرق أسيا الصغري للاستيلاء على ممتلكات المصريين البطالسة تحت حكم بطليموس الرابع الذي أنتصر عليهم ويقول المؤرخون إن بطليموس استطاع أن يحطم قواتهم بالجيوش المصرية.

وفي عام ٢٥ قبل الميلاد استطاع امبراطور روما أوكتافيوس أغسطس أن يهزم كل قواتهم في أوروبا ثم تابعهم إلى أسيا الصغري واستطاع أن يضمها إلى ممتلكات الامبراطورية. وبهذا كانت غلاطية في وقت ظهور المسيحية جزءا من الامبراطورية الرومانية.

جاء في أعمال الرسل (الاصحاح ١٦ آية ٦) أنه في أثناء رحلة القديس بولس الثانية بمصاحبة سيلاس والقديس تيموثاوس جاءوا لبشارة منطقة غلاطية. ومرض القديس بولس هناك كما جاء في رسالته إلى أهل غلاطية (الاصحاح الرابع آية ١٣) وبهذا كانت لديهم مدة طويلة لتبشير أهل غلاطية بإنجيل المسيح له المجد.

وفي المرحلة الثالثة للقديس بولس قام بزيارة كل إقليم غلاطية وفريجيا (أعمال الرسل ١٨ آية ٢٣). وقد استقبلوا القديس بولس بحفاوة كبيرة وحماس وجاء في أعمال الرسل (اصحاح ١٣ آية ٨-٢٣ في مدينة ليسترة» وكان يجلس في لسترة رجل عاجز الرجلين من بطن أمه ولم يمش قط. هذا كان يسمع بولس يتلكم فشخص إليه وإذ رأى أن له إيمانا ليشفى قال بصوت عظيم قم على رجليك منتصبا فوثب وصار يمشي. فالجموع لما رأوا ما فعل رفعوا صوتهم بلغة ليكأونية قائلين آن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا. فكانوا يدعون برنابا زفس وبولس هرمس إذ كان هو المتقدم في الكلام فأتي كاهن زفس الذي كان قربان المدينة بثيران وأكاليل عند الأبواب مع الجموع وكان يريد آن يذبح. فلما سمع

الرسولان برنابا وبولس مزقا ثيابهما واندفعا إلى الجمع صارخين وقائلين «أيها الرجال لماذا تفعلون هذا. نحن أيضا بشر تحت الآم مثلكم نبشركم أن ترجعوا من هذه الاباطيل إلى الإله الحي الذي في السماء والأرض وكل ما فيها» ولكن حدث بعد ذلك كما جاء في (الاصحاح ١٤ أية ١٨) «ثم آتي يهود من أنطاكية وأيقونية وأقنعوا الجموع فرجموا بولس وجروه خارج المدينة ظانين أنه قد مات» . ولكن رغم ذلك بقي عدد من اليهود يؤمنون بتعاليم الإنجيل وعظات الرسل وقويت كنائس غلاطية والأقاليم المجاورة.

هذا يفسر كيف أن المؤرخين المحدثين مثل هوسرات Hausrath وزان Zahn وبيرو Perrot ورامزي Ramsay وكورنيل وغيرهم يعتقدون أن القديس بولس عندما كتب رسالته إلى أهل غلاطية لم يقصد فقط مدينة غلاطية ولكنه وجهها إلى أهل الاقليم غلاطية كله. وبالفعل تولت الكنائس المختلفة هذه الرسالة ثم أنتقلت الرسالة إلى كل أقليم انطاكية وأيقونية ولسترة ودربي وجميع الكنائس التي زارها القديسان برنابا وبولس.

وراعى القديس بولس في رسالته أيضا أن يوجه شعب المنطقة بما فيهم اليهود الذين رجموه هناك بأنه يجب على جميع أعضاء الكنائس أن يراعوا ويحترموا قوانين موسى النبي وأن يتجنبوا الرذائل والخطايا العديدة التي ذكرها في رسالته. هذه الملاحظة وضعت تحتها خطوط عريضة من المؤرخ الحديث لايت فوت Light Foot . لم ينس القديس بولس أن اليهود رجموه هناك حتى ظنوا أنه مات لأنهم أعتقدوا أنه يعارض تعاليم موسى النبي. وليس معني ذلك أنه دعا بأي شكل أهل غلاطية إلى أن يسيروا وراء اليهود في عقائدهم الجوهرية ولكن في مناسبات الأعياد وفي القوانين الرئيسية التي تتفق مع المسيحية.

ويشير المؤرخ ليت فوت أيضا إلى التشابه الكبير بين رسالة القديس بولس إلى أهل غلاطية وإلى أهل رومية مما يدل على أن الرسالتين كتبتا في وقت متقارب أو في نفس الوقت.

ويلاحظ أيضا أن المؤرخين أكدوا أن رسالة القديس بولس إلى أهل غلاطية تبين أنها كتبت لأغلبية من الأمميين وأقلية من اليهود. كان المغول أغلبية كبيرة ويعيش بعضهم في قصور فاخرة في ذلك الوقت وهم الذين يملكون أن يساهموا في المساعدات المطلوبة لفقراء أورشليم الذين كانوا في حاجة إليها. وعند زيارة القديس بولس لأهل غلاطية كان استقباله حافلا من الأممين الي أن أصبحت أغلبيتهم مسيحية مؤمنة إيمانا عميقا خصوصا بعد المعجزة التي رأوها في لسترة للرجل المولود عاجزا عن آن يقف على قدميه. ولهذا رغم أنه طلب إليهم إن يحترموا تقاليد اليهود كان يحذرهم من معارضاتهم ويلفت نظرهم إلى ما قاله السيد المسيح نفسه رب المجد. لقد وافق معهم أنه لا ضرورة لختان الجسد والمهم هو ختان الروح أي طهارة الروح. وهذا هو ما آثار اليهود ضده فيما بعد عندما ذهب إلى أورشليم.

كان لرسالة القديس بولس إلى آهل غلاطية أهمية خاصة لتثبيت المسيحيين الجدد في الإيمان.. جاء في هذه الرسالة في الاصحاح الخامس ٥ آية ٤-٧ «لقد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس. سقطتم من النعمة. فإننا بالروح من الإيمان نتوقع رجاء بر. لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع ولا الغرلة بل الإيمان العامل بالمحبة. كنتم تسعون حسنا فمن صدكم حتى لا تطاوعوا الحق. هذه الطاعة ليست من الذي دعاكم».

في الاصحاحين الأولين من الرسالة إلى أهل غلاطية أوضح

القديس بولس بعد المقدمة أنه ليس رسولا من بشر ولم يأت بتعاليمه من اي بشر ولكن من السيد المسيح نفسه وأن الإنجيل الذي يعلمه متفق تماما مع تعاليم بقية الرسل. وبعد ذلك كتب في رسالته عن عدم أهمية ختان الجسد ولكن المهم هو الحصول على الخلاص من رب المجد. إن الختان ليس أكثر من مجرد قطع جزء من الجسد. وأما الخلاص فيأتي من الإيمان العامل بالمحبة لربنا يسوع المسيح – جاء في لاصحاح ٦ آية ٨ «أن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضا لأن من يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فسادا ومن يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة أبدية».

الفصل الرابع عشر

فيلبي

أنشئت هذه المدينة سنة ٣٠٦ قبل الميلاد بواسطة ملك ماسيدونيا فيليب الثاني في شمال اليونان على المنخفض المجاور لجبال أوربيلوس على بعد ثمانية أميال في الشمال الغربي من مدينة كافالله. وكان الهدف من أنشائها أن تكون على صلة مباشرة بمناهجم الذهب ولهذا أنشأ لها الملك فيليب الثاني حصون وجدران لحمايتها وسمح للمدينة أن يكون لها مجلس لإدراتها أطلق عليه أسم «مجلس الشياطين». وقد أكتشف بجانبها مناجم للذهب التي كانت تعتبر مصادر لثروة الدولة. لا نعرف حاليا الكثير عن هذه المدينة لأنها أهملت تماما منذ استولت الدولة العثمانية على هذه المنطقة. لم يبق منها حاليا سوى بعض آثار محطمة من جدرانها وحصونها والمسرح اليوناني ومعابد كانت مخصصة لأبطال المدينة.

والمعروف أنه في سنة ٤٩ ميلادية زار المدينة القديس بولس ثم زارها مرة أخرى سنة ٥٦ ثم سنة ٥٧ م . ويرجع تاريخ رسالة القديس بولس إلى أهل فيلبي إلى سنة ٦٢/٦١ وتشمل الرسالة عدة إرشادات من القديس بولس.

وبعد ذلك يذكر التاريخ أيضا الخطاب الذي أرسله بوليكارب من مدينة سميرنا موجهة إلى أهل فيلبي حوالي سنة ١٦٠ميلادية.

كان يوجد بالمدينة كنيسة صغيرة كانت معبدا من قبل ثم حولوها إلى كنيسة وأطلقوا عليها اسم القديس بولس. أسقف هذه الكنيسة كان اسمه بورفيريبوس Porphrios وكان حاضرا في مؤتمر سارديكا في عام ٣٤٢م. جاء ذكر المدينة في أعمال الرسل (الاصحاح ١٦ آية ١٢) «فأقلعنا من ترواس وتوجهنا بالاستقامة إلى ساموتراكي وفي الغد إلى تيابوليس ومن هناك إلى فيلبي التي هي أول مدينة من مقاطعة مكدونية فأقمنا في هذه المدينة أياما. وفي يوم السبت خرجنا إلى خارج المدينة عند نهر حيث جرت العادة أن تكون صلاة فجلسنا وكنا نكلم النساء اللواتي اجتمعن. فكانت تسمع امرأة اسمها ليديا بياعة أرجوان من مدينة تياثرا متعبدة لله ففتح الرب قلبها لتصغي إلى ما كان يقوله بولس. فلما اعتمدت هي وأهل بيتها طلبت قائلة إن كنتم قد حكمتم أني مؤمنة بالرب فأدخلوا بيتي وأمكثوا فألزمتنا».

وفي هذه المدينة أيضا حدثت قصة الجارية التي كانت لديها قوة العرافة والتنبؤ. وكانت تصرخ هؤلاء الناس هم عبيد الله العلي الذين ينادون لكم بطريق الخلاص. ولم تكرر صراخها أياما أمر بولس الروح النجس أن يخرج فخرج. وطبعا فقدت قدرتها على التبنؤ وفقد أصحابها الأيراد الذي كانت تدره بعرافتها. وعندئذ اتهموا القديس بولس بأنه يبلبل المدينة فأخذوا يضربون القديس بولس وزميله بالعصى وألقوهما في السجن ووضعوا أرجلهما في المقطرة. وفي الليل حدثت زلزلة وتحطمت أبواب السجن وانفكت قيود الكثيرين. ولما ظن محافظ السجن أنهم هربوا لأن الأبواب كانت مفتوحة حاول أن يقتل نفسه لولا أن

القديس بولس ناداه وقال له أنهم جميعا موجودون. وفي اليوم التالي أطلق سراحهم.

زيارة بولس الرسول إلى هذه المدينة أدت إلى بناء سبعة كنائس ولما أنتقل النبأ إلى الامبرطور قسطنطين كان ذلك أحد العوامل أنه بني بازليكا صوفيا في القسطنطينية.

وكما ذكرنا أن هذه المدينة منذ عهد احتلال العثمانيين أهملت تماما منذ عام ١٢٠٤ . ومنذ القرن السادس عشر لم يكن هناك اي وجود للمدينة وكانوا يذكرونها «المدينة التي كانت في الجبل».

الفصل الخامس عشر

كفرناحوم

جاء في الاصحاح الرابع آية ٢٣ ذكر اسم «كفر ناحوم» .. وعلى سبيل التعريف رأى المؤلف أن يذكر شيئا عن هذه المدينة الصغيرة. تقع هذه المدينة على تل كنريث Tell Kennerith في الشمال الغربي من بحر الجليل على الغرب من قرية تابيها. إنها ٧٥ مترا أعلى من مستوى البحر. ويمر بها الطريق القادم من طبرية نحو الشمال والشمال الغربي في الناحية الغربية من التل. كفر ناحوم مدينة تاريخية قديمة وكانت في العهود القديمة بمثابة البوابة الحارسة للطريق بين الشرق والغرب. ولهذا كان لها أهمية ما قبل التاريخ كانت هذه المدينة موجودة من العصر الحجري أي في السنوات ثماني ألف سنة إلى مائة وخمسين ألف سنة قبل الميلاد عامرة بالسكان وقد وجد آثار لهياكلهم العظيمة على الأخص في منطقة أميرة على بعد كيلو مترين فقط من التل. هناك أدلة أن المدينة في العصر البرونزي (٣١٥٠ق م – ٢٢٠٠ق.م) كانت عامرة تماما. وقد أكتشف فيها بعض الآثار المصرية القديمة ويعتقد المؤرخون أنها تعود إلى عهد تحتمس الثالث الذي قام بغزو المنطقة في عام ١٤٦٨ ق.م وتولي الاستيلاء على التل وكثير من المدن المحيطة به. وقد أكتشفت الآثار المصرية في عام ١٩٢٨. وبعد ذلك تبين التاريخ أن التل ظل قائما كمدينة حتى العصر اليوناني في أوائل القرن الرابع قبل الميلاد وبعد أصبحت كفر ناحوم مدينة

كبيرة تشمل الكثير من الحضارة الإنجيلية في العهد القديم.

وفي عصر السيد المسيح له المجد أكتسب الطريق بين كفرناحوم واورشليم وبين كفرناحوم وبحيرة الجليل شهرة كبيرة وأهمية خاصة. لقد وجدت أثار قديمة منذ عهد السيد المسيح أثارا تاريخية في بقع كثيرة من هذا الطريق كان هذا الطريق يمر إلى جانب العيون المائية السبعة. بما في ذلك بحيرة طابا وبالقرب من منيا خربت Minia Khirbet وأماكن كثيرة عمل فيها السيد المسيح معجزات الشفاء المرضي وقد ذكر إنجيل مرقس البشير (٦ آية ٥٣) «فلما خرجوا من السفينة للوقت عرفوه. فطافوا جميع تلك الكورة المحيطة أو مدن أو ضياع ووضعوا المرضي في الأسواق وطلبوا إليه أن يلمسوا هدب ثيابه وكل من لمسه شفي». وجاء في سفر متي البشير في الاصحاح ١٤ الآية ٣٤ «ولما عبروا جاءوا إلى أرض جنيسارت فعرفه رجال ذلك المكان فأرسلوا إلى جميع تلك الكورة المحيطة وأحضروا جميع المرضي وطلبوا إليه أن يلمسوا هدب ثوبه فقط فجميع الذين لمسوه نالوا الشفاء».

ومنذ عام ١٩٦٠ أنشئت عدة أنابيب لتوصيل المياه وأنشئت عدة مراكز لاستخراج المياه من باطن الأرض ولنقل المياه من بحر الجليل إلى السهول المجاورة ومنها إلى جنوب إسرائيل. لا يستخدم التل في شيئ حاليا سوى أن يكون مراكز لنشاط الشباب وللانتقال إلى شواطئ بحر الجليل.

الفصل السادس عشر

كورنثيوس - كورنثيا

كورنثيا اسم يطلق على كل المنطقة حول مدينة كورنث Corinth وهي إحدى ولايات اليونان وجزء من شبه جزيرة البلويونيز. هذه المدينة هي ثالث أكثر مدينة ازدحاما في البلوبونيز إذ يقطن فيها حوالي ١٤٥ ألف ساكن ويحمل إليها المراكب في قناة كورنث البضائع من البحر الأبيض ويعتبرها البعض ضاحية قريبة من أثينا. وتعتبر قناة كورنث انخفاض عميق بسبب زلازل قديمة.. ومنذ أوائل القرن العشرين يمر بجانبها طريق متسع للمواصلات السريعة وكان ذلك سببا في تزايد السكان المستمر بالمدينة. اكتشف بجانب المدينة في عام ١٩٦٢ منابع للبترول سنة ١٩٦٢ مما ساعد على ثروة المنطقة وبنيت كباري ضخمة تستطيع مقاومة الزلازل والمصائب الطبيعية والفيضانات. يوجد حول المدينة عدة مزارع لأشجار الزيتون يستغل جزء من هذه المزارع في زراعة الطماطم وتخصص أجزاء كبيرة للمراعي التي أمتدت فشلمت جزءا من منطقة أرجوليدا. وبسبب جوها الجميل الذي يعتبر من خصائص منطقة البحر المتوسط أنشئت مناطق تجميلية سياحية مما أجتذب السياحة العالمية. وعلى مقربة من المدينة تقع ابيداورس Epidaurus التي ترجع قديما إلى عصر الاغريق وتشمل المسرح المعروف باسم ابيداوروس الذي يتسع لخمسة عشر ألف متفرج أنه حتى

في ذلك العصر القديم بني هذا المسرح الضخم وتحاشوا فيه أي صدى للصوت ويوجد في هذا الأقليم أيضا عدة منابع لمياه علاجية تشمل على معادن خاصة تساعد على علاج بعض الأمراض الجلدية. والعجيب أن الفنانين اليونان استطاعوا أن يقلدوا في دقة عجيبة بعض رسوم ليوناردو دافنشي بما في ذلك لوحة العشاء السري وزينوا بها كنيسة آجيوس أندرياس Agios Andreas التي تعود إلى العصر الفينيتين Venetian. أي مختص في الفن يدهش عندما يشاهد اللوحات والايقونات في هذه الكنيسة. وفي كنائس أخرى مجاورة في أقليم أرجوليس تجد لوحات رائعة لبعض الفنانين المشهورين مثل لوحة الصعود للسيد المسيح في كنيسة القديس الياس Agios Elias. وفي مدينة ابيداوروس تجد دير السيدة العذراء Theotokous على بعد خمسة الكيلو مترات الذي شيد على النمط البيزنطي.

ومن أغنى الآثار التاريخية الاكتشاف الحديث في مدينة مجاورة هو مقبرة أتركاس Atrcas وهو اسم مقبرة أجاممنون Agamemnon وكذلك معبد الإلهة إيرا Era التي تعود إلى العصر الحجري الحديث. ويوجد أيضا بنفس المنطقة مبني آخر باسم أكروبوليس بالقصر المجاور له والممرات تحت الأرض التي بنيت بأحجار البازلت الأسود. ويعلو مبني الاكروبوليس قباب مرتفعة ومزينة برسوم جدرانيه Fresco جميلة مما يدل على أن هذه المنطقة في العصر القديم كانت مدينة ثرية ولها سطوتها.

يقام في ابيداوروس احتفالات سنوية في خلال فصل الصيف حيث تستطيع أن تحضر عروض موسيقية كلاسيكية وحفلات تقام باسم «القديس بانيجري» بالاضافة إلى حفلات رقص

وموسيقى حديثة يوم ٢٦ يوليو و١٥ أغسطس ويوم عيد الأم ويوم عيد الصعود وغيرها. إنها أعياد متواصلة في المنطقة كلها.

ذكر المؤرخ بوليكراتس قائمة أسماء الأساقفة الذين تولو المنصب على التوالي لأسقفية سميرنا بما فيهم القديس بوليكارب كما ذكر أسماء أساقفة ميليتو Melito في مقاطعة ساريس وجاء في تأريخه أن هذه الأسقفيات المسيحية ترحب بأى يهودي يعتنق المسيحية وسوف يتلقي مساعدة كاملة من كل المسيحيين وكل تعليم لازم خاص بالعبادة وسوف يحترم المسيحيون مناسبات الأعياد اليهودية مثل مناسبة عيد العبور إلى سيناء. سوف يتسلم المسيحيون الجدد من أصل يهودي كل التعاليم الأرثوذكسية السليمة كما تسلموها من التلاميذ الأوائل عن السيد المسيح له المجد.

وذكر المؤرخ ايرانيوس أن بوليكارب أسقف سميرنا لم يمتص رحيق المسيحية فقط من الرسل بل تعلم أيضا من كثيرين من الذي قابلوا السيد المسيح شخصيا وسمعوا منه. وقابل بوليكارب كذلك الرسل الذين قابلوا وعاشوا مع السيد المسيح قبل هجرتهم إلى أسيا الصغيري وسميرنا. وقال ايرانيوس إن بوليكارب استطاع أن ينقل هذا التراث المسيحي الذي حصل عليه إلى من أعقبوه وأن يستبعد من أذهانهم كل هرطقة. لهذا كله ذكر المؤرخ ترتوليان أن كنيسة سميرنا هي أحدى العمد الرصينة التي استطاعت أن تحافظ على المسيحية كما أرادها رب المجد. إنها كنيسة رسولية سليمة من أي هرطقة ونقلت المسيحية كما تسلموها من القديس يوحنا والقديس بطرس.

استمر هذا الوضع النقي في العقيدة حتى الوقت الذي استطاع فيه السلاجقة من الاستيلاء على سميرنا بقيادة شقا باشا سنة ١٢٢٢. وذكر ابن بطوطه المؤرخ العربي أنه لما زار سميرنا وجدها عبارة عن أنقاض وأنقاض في سنة ١٣٣٣ بعد الفتح بقيادة أيادين. وبالتدريج عادت سميرنا إلى أن تكون ميناء الإمارة. وبعد قليل جاء فرسان القديس يوحنا وأتخذوا هذه المدينة مركزا لهم ولكنهم لم يستطيعوا أن يستولوا على القلعة. وفي سنة ١٤٠٢ هاجم المدينة تيمورلنك وذبح كل سكانها. لم تدم سلطة المغول طويلا في سميرنا لأن الأتراك استولوا على المدينة وأعلنوا سلطة الدولة العثمانية. استمر حكم العثمانيين للمدينة مع استثناء المدة ١٩١٩-١٩٢٢. في هذه السنوات الثلاث. كانت المدينة - سميرنا - تحت حكم جيش اليونان ثم انسحبوا بعد ذلك. وفي خلال هذه الحرب بين اليونان والأتراك تحطم معظم مباني المدينة. ولكن الأركيولوجيوس الألمان نومان وميلتز Miltmer وكانتار أعادوا اكتشاف جزء كبير من هذه المباني سنة ١٩٣٥. واستمرت الأبحاث الاستكشافية سنة ١٩٩٦ واستطاعوا أن يكتشفوا عدة أعمدة رخامية وآثار مباني محطمة. ولكن المدينة تدريجيا أقيمت في صورة جديدة في العصر الحديث.

رقم الإيداع ١٩٢٨٦ / ٢٠٠٨

Church of Greece





عن المؤلف

تخرج الدكتور ماهر كامل من جامعة القاهرة ١٩٤١ وحصل على دبلوم معهد التربية العالي ٤٣ ودبلوم الدراسات العليا ٤٤ وماجستير في علم النفس ٤٥ بامتياز ودكتوراه بدرجة الشرف الممتازة في علم النفس ٥٣ من فرنسا ثم دكتوراه في الدراسات الدولية ٥٦ من سويسرا. قام بالتدريس بكلية المعلمين العليا بالقاهرة واشترك في تأسيس والتدريس بالكلية الاكليريكية العليا بالقاهرة بناء على دعوة من الأ
السادس. وبعد انتقاله إلى الولايات المتحدة أسند إلي
أستاذ ورئيس قسم المواد الاجتماعية بجامعة نيوجرس
عاما للدراسات الدولية بنفس الجامعة، وكما قام بالت
جامعة نيويورك الحكومية بنيويورك وبجامعة بنسل
فيلادلفيا وكلية سان بيترز بجرسي سيتي واستدع
مستشارا للكونجرس بالولايات المتحدة، كما تولى رئاس
المصرية الأمريكية لعدة سنوات. واشترك في تأسيس أول
قبطية في المهجر. ألف عشرين كتابا باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية، كما نشر عدة مقالات في الصحف العربية والأمريكية.